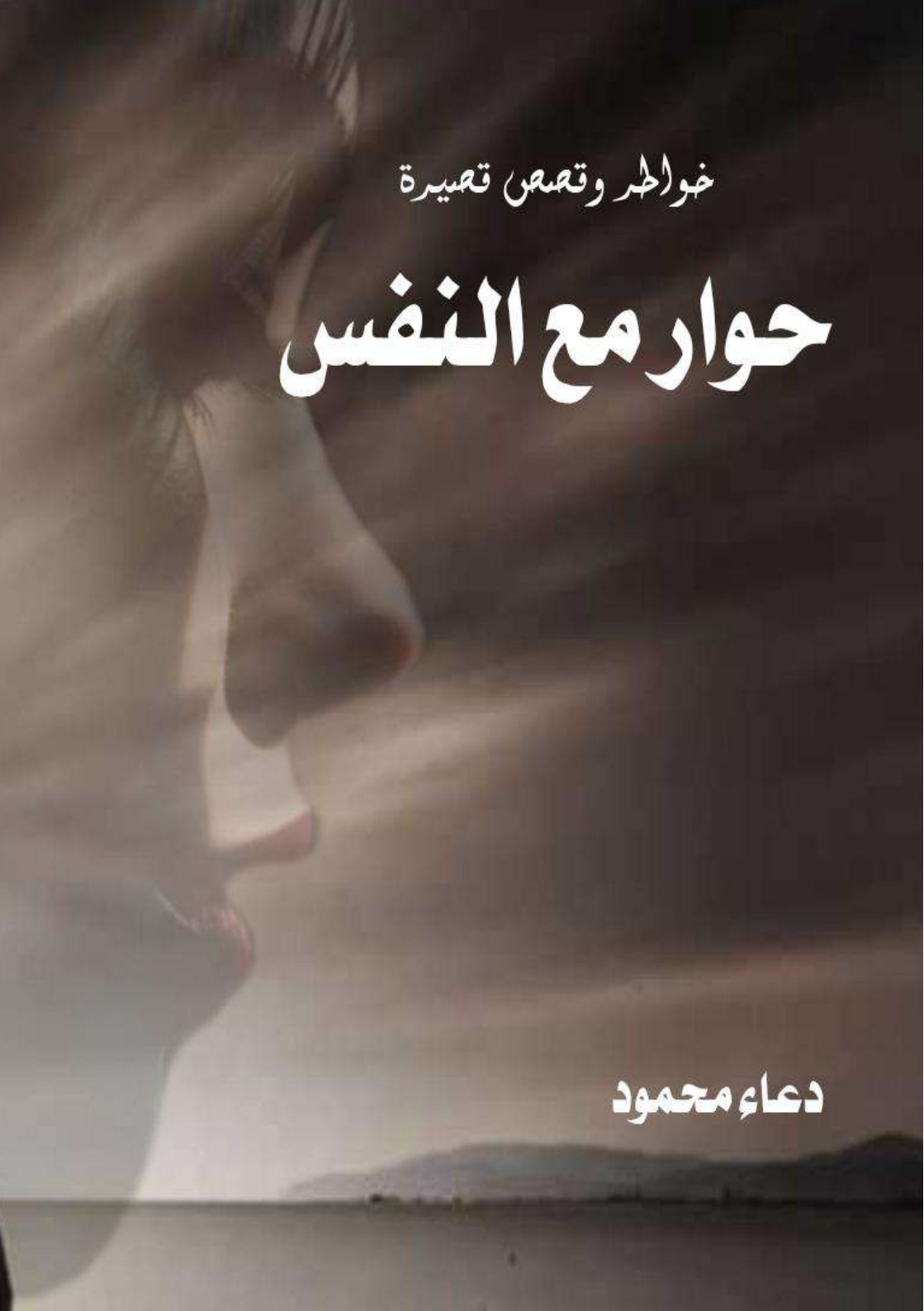
خواطر وقصص قصيرة
حوار مع النفس
دعاء محمود

كتاب إلكتروني

إسم الكتاب : حوار مع النفس

تأليف: دعاء محمود

الدولة: مصر

الرقم الدولي EBIN **54-1-12-251110**

دار الأدب العربي المغربية الإلكترونية

+212 688-479804

Adabarabi94@Gmail.com

إهداء

إلـــى روح أمِّـــي وأبـــي الرَّاقـــدين فـــي ســـلام، أهـــدي لهـــم بعـــض مـــن جنـــون قلبـــي، أوهـــام عقلـــي، وخـــزعبلات قلمـــي الجامح في فلك الحكايات.

دعاء محمود

تقديم

مقدمة نقدية فلسفية لكتاب (حوار مع النَّفس)

تأليف الأديبة دعاء محمود – مصر

بقلم : الدكتور عدنان مهدي الطائي-العراق

الكاتب والباحث والشاعر ومحب الفلسفة

14\11\2025

كثيرًا ما تناقش نظريات الفن الحديثة مسألة العلاقة بين شخصية الكاتب ونتاجه الإبداعي؛ فبين من يرى أن شـــخصـــية الكاتب الفنية كيانٌ مستقلٌّ عن شخصه الإنساني، ومن يعتقد أنهما وجهان لجوهرٍ واحد، يظلّ الســؤال قائمًا: هل يمكن فصـــل الأنا الإبداعية عن الأنا الإنسانية؟ إنّ الفصل التام بينهما ضربٌ من التجريد، كما أن التطابق الكامل بينهما خطأ في الفهم؛ فالعلاقة بين الاثنين علاقة جدلية متبادلة، تتخذ أشــكالًا متعددة كما نلمســها في القصـــة رجفة الروح،

حيث تمتزج الذات الفنية بالذات الواقعية في تفاعلٍ خلاقٍ لا يخلو من الغموض. ومن هذا المنطلق، تتجلّى أمامنا تجربة الكاتبة دعاء محمود التي قدّمت في كتابها (حوار مع النَّفس) لوحةً أدبية تمزج بين عمق الفكرة وبساطة التعبير، وبين السخرية الهادفة والجدية التأملية. فهي تكتب عن الإنسان في صراعه مع ذاته ومجتمعه، عن أخلاقٍ تُبنى وقيمٍ تُهدَم، عن الواقع الذي يُعاد صياغته عبر مرآة الفن. في قصصها – من حين اغتال الصمت كبد الحقيقة إلى حلو العسل – نلمح وعياً نقدياً وفلسفياً يتجاوز حدود القصة القصيرة التقليدية، لتصبح القصة لديها وسيلةً لفهم الوجود الإنساني ومحاولة ترميمه، على نحوٍ يشبه ما فعله كبار القُصّاص العالميين مثل أنطون تشيخوف. الكاتبة تمتلك قدرةً على تحليل الواقع من خلال خيالٍ واعٍ، لا ينفصل عن التجربة الحياتية، بل ينهل منها. إنها تدرك، intuitively، ما قاله هايدغر: «علينا أن نتحرك داخل الفلسفة لا أن ندور حولها». فهي تغوص في عمق الفكرة، تستنطق رموزها، وتعيد إنتاجها بأسلوبٍ يجمع بين التأمل والواقعية، بين الحكمة والوجدان، لتخلق نصوصاً تُدهش القارئ وتدعوه إلى التفكير فيما وراء الكلمة. إنّ أعمالها ليست استنساخاً وهمياً، بل امتدادٌ للحياة ذاتها. فهي تبني عوالمها السردية على أسسٍ واقعية، وتغذّيها بخبرةٍ معرفية وثقافية واسعة، كما نرى في قصتها أنا الخنساء التي تُبرز

بوضوح مبدأ النمذجة الفنية بوصفها إعادة خلقٍ للواقع، لا محاكاةً له. وهنا يظهر وعيها الفلسفي بضرورة أن يكون الأدب نموذجاً لظواهر الحياة المختلفة، وليس مجرد انعكاسٍ لها. ولعلّ أروع ما في نتاجها هو ذلك التوازن بين المثالية والواقعية، بين الموروث والحداثة، حيث تتماهى الأزمنة في نصوصها، وتتداخل الرؤى بين الماضي والحاضر. فهي، وإن تناولت قضايا الإنسان البسيط، إلا أنها تفعل ذلك بعينٍ فلسفية ترى في التجربة الأخلاقية محور الوجود. وفي قصتها الأخيرة المدينة الباسمة، نلمح بوضوح إشارتها الرمزية إلى المدينة الفاضلة، حلم الفلاسفة الذي ظلّ حيًّا في وجدان الأدب الإنساني.

ولا يسعني في الختام إلا أن أُعبر عن تقديري العميق للأستاذة دعاء محمود، التي لم تدّخر جهدًا في إثراء المكتبة العربية بنصوصٍ تمزج بين الحس الإنساني والعقل النقدي، وتعيد إلى الأدب رسالته الأخلاقية الرفيعة. إنّ أعمالها تتسم برهافة الحس وعمق الحدس، وبقدرةٍ على عقلنة العاطفة وسبر أغوار النفس البشرية. ومن هنا يمكن القول إن نتاجها الأدبي يمثل منهلًا عذبًا كثير الزحام، تتلاقى عنده القلوب الباحثة عن الجمال والعقول المتعطشة إلى الفهم والمعرفة. هكذا تجلت موهبتها في إبراز الأدب كطريقٍ نحو الوعي، والفن كحياةٍ أخرى داخل الحياة نفسها. ولذلك أرى في كتابها هذا

إضـــافة نوعية للمشـــهد الأدبي العربي، وجســـراً يربط بين القصـــة والفكر، بين الفن والإنسان، بين الحلم والواقع

حلو كالعسل

تسير بهدوء وحدها في شارع خال من العابرين كعادتها اليوميَّة؛ لتشاهد الشُّروق على البحر، أحسَّت بخطوات خلفها؛ تسارعت دقّات قلبها خوفا، وبمظهر الثَّبات الكاذب أكملت طريقها دون التفات؛ رائحة عطرة لامست أنفها ـ قد اقترب أكثر ـ رائحة طيّبة تسرّبت إلى ذرَّات دمها، بدأت تتساءل: مَن صاحب العطر العتيق الجميل؟.!!!!!

سبقها بخطوات قليلة واستدار؛ لم تره من قبل.

بابتسامة ساحرة وصوت حنون سألها: ألا تخافين السَّير وحدك؟!

أجابت بثبات يداري قلقًا وخوفًا: وما شأنك!!!

بحركة جريئة أمسك بذراعها، اقترب حدَّ التَّلامس وهمس: ألا تعرفين من أكون؟!!!

ألم يخبرك والدك أني تقدَّمت بالأمس أطلب الزّواج منك ، وقد رفضتِ الخروج لأنّك لن تتزوجي بشخص لا تعرفينه،

ولـم تحبّيـه، هـا أنـا ذا أمامـك؛ تعرّفـي إلـيَّ، وذوبـي عشـقا ثـمَّ تزوّجيني.

خطـف قلبهـا بجرأتـه، بوسـامته، وعطـرِه؛ شـعور غريـب قـد اعتراهـا؛ عانقـت روحهـا السَّماء، خفـق قلبهـا، حاولـت الـتَّخلص مـن قبضـة يـده لـم تُفلـح؛ رعشـة سـرت فـي جسـدها، آهـات ساكنة فـي أذنهـا، وليـد قـد تهدهـد فـي قلبهـا، حـلاوة العسـل فـي حلقهـا ـ حاولـت الـتَّخلص مـن قبضـته مـرَّة أخـرى ـ اقتـرب أكثـر، أمسـك بهـا بكلتـا يديـه ؛ قـد تخبَّطـت إشـارات العقـل والقلـب، وسـكن الجسد مطمئنا.

علامـات الحـبِّ صـارت واضـحة؛ ابتسـامة خجلـى، هـدوء التَّعـابير، سـكون الجـوارح، أعطتـه ذراعيهـا طوعًـا ليظـلَّ ممسـكًا بهما.

كعصـفورين يهمسـان، كصـوت النسـيم يعـانق أشـجار الكـرز، كهـدير المـاء مـن شـلال قريـب، كـارتواءٍ بعـد عطـش، كوجبـة شـهيَّة بعـد قحـط وجـوع، ومقعـد تظلِّلُـه شـجرة وارفـة فـي صـحراء جرداء.

بصوت صارم همس: هلّا تتزوجينَني؟!

بصوت بالكاد يُسمع أجابت: نعم.

حين اغتال الصَّمت كبد الحقيقة

فـي إحـدى المستشـفيات العقليَّـة المهجـورة منـذ سـنوات؛ يعـجُّ بمئـات المرضـى الميـؤوس مـن حـالتهم، قـرَّرت الحكومـة إعـادة ترميم المباني لاستغلالها بالشَّكل الأمثل.

بعـد عمـل شـاقٍّ طـوال أيـام يـتمُّ تنظيـف الحديقـة الخلفيّـة لأحـد المبـاني؛ حديقـة مأهولـة بالأشـجار العتيقـة العاليـة والنَّباتـات الطِّبيـة المختلفـة إذ فـوجئ الجميـع بهيكـل عظمـيٍّ مُلقـى علـى الأرض بين الأشجار.

بعـد اجتمـاع القـادة مـن كافَّـة القيـادات للبحـث عـن صـاحب الجثـة، تـمَّ فـتح الملفـات، التَّحـري، السُّـؤال، قامـت كـلّ الجهـات علـى قـدم وسـاق بثـورة ؛ لمعرفـة الحقيقـة، كتحليـل الحمـض النَّووي، وتقديم تقارير الطِّبِّ الشَّرعي.

فـوجئ المحقـق أنّـه هيكـل لسـيّدة تبلـغ الأربعـين مـن العمـر، قـد وُضـعت فـي المستشـفى العقلـيّ علـى يـد أخيهـا إذ تنتابهـا حـالات شديدة الخطورة.

تساؤلات عارمة ضربت رأس المحقّق؛ كيف ماتت؟! لماذا تركت هكذا حتَّى تحلّلت؟! ألم يسأل عنها أخوها؟ !

وقد أصدر المحقّق القرار بالتَّحقيق مع المسؤولين

لمعرفة الحقيقة.

جمع الخيوط، نقَّح الأكاذيب، رفض المتناقضات العقليّة؛ فإذا بكبد الحقيقة يظهر جليًّا أمامه؛ هي الأخت الكبرى لذلك العاقُّ الَّذي طمع في الميراث فألقاها في هذه المستشفى؛ الَّتي تُعرف بالإهمال والفساد بالاتفاق مع أحد الأطباء.

تعذّبت بجلسات الكهرباء كلَّما نطقت، أيُّ طلب يقابل بجلسة مفزعة من العذاب، أيُّ كلمة منها في اتّجاه الحقيقة؛ تُحبس على إثرها، وتنال ويلات القهر، آلام جسديَّة نفسيَّة غير محتملة؛ اختارت طوعًا الصَّمت، اعتادت أن تقتاتَ من فُتات الطَّعام، لجأت لتلك الحديقة النّائية في المستشفى؛ لتبتعد عن الوجوه كافَّة،

تحيا يومها على أمل الموت، تسرق بعض الكتب من مكتبة المستشفى؛ وتجلس تلتهم الصّفحات، اتخذت من الأشجار الكثيفة مأوًى لها؛ ارتاح الأطبّاء من ثرثرتها ؛ خاصّةً الّذين رفضوا تصديقها؛ ولم يبحثوا عنها.

اختــارت الصَّــمت طوعًــا لتشــفى مــن ويــلات الكــلام وأفعــال النَّاس.

عشــقت الكــلاب الضَّــارية المنتشــرة حــول ســور الحديقــة، تعاملـت معهـم برحمـة؛ فتركوهـا تنـام بيـنهم، حموهـا مـن بنـي جلدتها، كانوا أرحم عليها من بني الإنسان.

اغتـال صـمتها كبـد الحقيقـة؛ ففضـح بعـد سـنوات مـن رحيلهـا مـا أخفته قهرًا لسنوات.

اختـارت الصَّـمت كمحاولـة أخيـرة؛ لتخبـر النَّـاس مـا لـم يصـدّقوه بالكلمات.

كـان صـمتها سـهامًا اخترقـت حـواجز الأسـماع؛ لتظهـر الحقيقـة، على مرأى ومسمع من كلِّ الجهّات.

ويــأمر المحقّــق بضــبط كــلّ المشــاركين فــي موتهــا وتقــديمهم للعدالة.

رجفة الرُّوح

بين جدران غرفة مظلمة، تجلس وحيدة، ساعات بجوار النَّافذة، تتطلَّع إلى السَّماء دون أن تنبس ببنت شفة، تحرق دخان سجائرها هائمة، عيونها تتلألأ بالدَّمع؛ قد فارقها الأهل، وغدر بها الحبيب.

ساعات الألم تقضيها بين شرود، ذهول، تفكير، ونحيب.

عمل شاق، سهر طويل؛ حتّى تحرق الأيام وتقضي على وحدتها القاتلة.

روحها هائمة ترتجف لا تجد من يربّت على كتفها، ويلملم بعثرتها.

سنوات تسرّبت من عمرها ولا تعرف كيف تتخلَّص من رجفة روحها، كآبة أيامها، خمول جسدها، ووحدة أيّامها الّتي نهشت أحلامها.

مع لمعة أكبر نجمة في السَّماء تذكّرت وصيّة أبيها - أن التهمي المكتبة الكبرى بدار جدّك العتيق في الرّيف - بيت

مغلـق منـذ وفـاة جـدّها؛ عشـرات السِّـنين لـم يفـتح، حولـه أرض واسعة شاخت من الإهمال.

فتحـت بـاب البيـت الكبيـر وقـد تسلَّلت إلـى روحهـا ذرّات الأمـل؛ سـوف تقتـل الرَّجفـة الملازمـة لهـا بضـربات الفـأس فـي الأرض، بقـراءة أمهـات الكتـب، والبحـث عـن المعـاني العتيقـة، برائحـة الخبز في الفرن القديم.

تحوّلـت رجفـة روحهـا المؤلمـة إلـى رقصـة فـرح فـي يومهـا الجديد.

فاصلةٌ منقوطةٌ؛

فـي أوجِ نشـاطي وارتيـاحي، تَزيّنـتُ بـأروعِ الثِّيـابِ، تَعطّـرتُ، لَبِسـتً خـاتمي ذا الفـصِّ الأرجـوانيّ القـاني ـ كـان قـد اشـتراهُ لـي منـذُ زمـنٍ مَضَـى حِـينَ أعجبنِـي ـ اسـتقلّيتُ سـيّارتي الّتـي طالمـا حاربـتُ حتّـى حصـلت عليهـا؛ فمكـانُ عملـي بعيـدٌ جـدًّا عـن بيتـي، أدرتُ المِـذياعَ ـ إذاعـةُ القـرآنِ الكـريمِ تـنعشُ صـباحي ـ قهـوتي بجانبي، أقودُ مبتسمةً، لأوّلِ مرّةٍ أشعرُ بفاصلٍ في حياتي.

يومي أصبح هادئًا جميلًا مستقرًّا لأكبرِ حدٍّ، فقد نسيتُ حقًا.

انْجلـى الحـزنُ مـن داخلِـي، وفتحـتُ بابًـا علـى الحيـاةِ، تجـاوزتُ عينيـهِ الجـريئتينِ اللامعتـينِ الجـذابتينِ، تجـاوزتُ هيئتَـهُ الوقـورةَ، قامتَهُ الممشوقةَ، وعنفوانَ شبابِه.

تجاوزتُ كلماتِهُ، صوتَهُ، حنانَ قلبِه، ولمسةَ يديه.

تجـاوزتُ الحضـنَ الـدَّافئ، الكلمـةَ الّتـي تختـرقُ القلـبَ، ونـومتي على ذراعِه بأمانٍ تامٍّ.

عرفتُ بعد سنواتِ الحزنَ العميقَ، والألمَ الدَّفين - بعد تخلّيه عنِّي - أنَّني قادرةٌ على الحياةِ.

سيفُ تخلّيه عنِّي علَّمني أنّ الحياةَ لا تقفُ بوجه أحدٍ، أنّ خيباتِ عمري الّتي قضيتُ انتحبُها في المشفى؛ دواءٌ يقوّي ظهري، وأنّ جروحي الّتي لا يراها أحد؛ ترياقٌ اعادني للحياةِ.

وأنَّ سنواتٍ من الدُّموعِ قادرةٌ على شفاءِ قلبي المهترئ.

أنا الآن ذاهبةٌ إلى عملي وأنا في قمّةِ نشاطي، وأوجِ حرّيّتي؛ رُغمَ أنَّه معي داخلَ عملي أراهُ كلَّ يومٍ؛ إلّا أنّ عقلي لا يبصرهُ؛ هيكلٌ فارغٌ من الكلماتِ لا ترجمةَ له داخلَ عقلي، كتابٌ ليس له غلافٌ قد طُمست أحرفُهُ، ذكرٌ كباقي ملايينِ الذُّكورِ لا أعرفهُ، وفاصلةٌ منقوطةٌ عَبرت بي إلى شاطئِ سعادتي.

أناكوندا

وحشُ البحيراتِ يتسلّلُ ببطءٍ، يتحرّكُ بخفّةٍ لا تشعرُ بها، يلتهمُكَ على حين غرّةٍ؛ ودونَ أنْ تشعرَ تجدُ نفسَكَ فريسةً سهلةَ الابتلاعِ.

إنَّه القلقُ ذلك الوحشُ العملاقُ الّذي يتسلّلُ إلى العقلِ يسيطرُ على خلاياهُ واحدةً تلو الأخرى يعطّلُ تروسَ التَّفكيرِ، يشلُّ الذِّهنَ، يُصدرُ إشاراتٍ عنيفةٍ تعملُ على فسادِ الشُّعيراتِ الّتي تُوصلُ الأوامرَ، تَوقّفٌ تامٌ عن الإنفعالِ، سيطرةٌ تامةٌ له، غلبةٌ ومنعةٌ من الحراكِ والعملِ.

قد تمّتْ المهمّةُ، وسيطرَ على مجرياتِ الأمورِ، والتَهمَ ما تبقّى منكَ.

القلقُ ذلك الوحشُ الّذي يُفسدُ حياتَكَ، علاقاتِكَ، وصِلتَكَ بربِّكَ.

فهو يُوهنُ القلبَ، يُعرّضهُ للمرضِ، يأكلُ خلايا قلبِكَ، ويمتصُّ دمَكَ؛ فتبقى جثّةً هامدةً زرقاءَ اللَّونِ مختنقةً؛ أنتَ فريسةٌ

بمحـضِ إرادتِـكَ، سـلّمتهُ نفسَـكَ دونَ أدنـى مقاومـةٍ، اعتـرافٌ منكَ بمحدوديّةِ اللّه، وقنوطٍ من رحمتِهِ.

حالةٌ تفقدُكَ دنياكَ، وآخرتَكَ معًا وبئسَ بها حالةً.

ويبقـى السُّؤال: هـل نستسـلمُ لهـذا الـوحشِ المرعـبِ ظنًّـا منَّـا أنْ لا خلاصَ منه؟!

الخـلاصُ مـن ذلـك الـوحشِ لا يكـونُ فـي المواجهـةِ أو الحـربِ وإنَّمـا فـي الرُّكـونِ إلـى الهـدوءِ، الاطمئنـانِ، وجلـبِ طاقـاتِ الأملِ.

فـي التَّمسّـكِ بعصـمةِ الـدِّينِ، وروحِ الانطـلاقِ إلـى الحيـاةِ، فـي قولِـكَ أنَّ اللّه قـدَّرَ هـذا، وهـو كفيـلٌ بـه، فـي دعـواتٍ كثيـراتٍ، فـي ممارسـةٍ لـبعضِ أشـكالِ الرّياضـةِ الذِّهنيـةِ - التَّأمـلُ، اليُوجـا والتَّـنفسُ العميـقُ الهـادئُ -، فـي اعتيـادِ الهـدوءِ والخلـوةِ مـع النَّفسِ يوميًا، في المشيِ بلا هدفٍ لمدةٍ طويلةٍ.

فنحنُ نـتخلّصُ مـن القلـقِ عـن طريـقِ إزالتِـهُ مـن عقولِنـا كمـا تُـزالُ البقـعُ بغسـلِها؛ فننظّـفُ العقـلَ مـن سـيطرتِه شـيئًا فشـيئًا يومًـا بعـد يـومٍ، كمـا يكـونُ الـتَّخلّصُ مـن هـذا الـوحشِ عـن طريـقِ التَّعـودِ علـى انـزالِ الحِمْـلِ عـن كتفيـكَ فـي الصّـلاةِ مـع الرُّكـوعِ والسُّجودِ.

فـي مكاشـفةِ الـنَّفسِ بأنَّـكَ لا حيلـةَ لـكَ، وأنَّـكَ لا تـرى الحـلَّ مـع السَّـعي الـدَّائمِ، وطَـرْقِ كـلِّ الأبـوابِ الموصـدةِ حتـى تـرى عجائـبَ الحلولِ أمامَكَ.

القلـقُ حالـةٌ نفسـيّةٌ شـديدةٌ إذا تركناهـا سـيطرتْ علينـا، وفتكـتْ بنا وإذا حاربناها؛ هلكنَا.

ولكـن يكمـنُ السِّـرُ فـي الـتَّخلّصِ منـه بطريقـةِ عـيشٍ مناسـبةٍ، أسلوبِ حياةٍ مطمئنٍ، وركونٌ إلى الله مدبّرِ الأمرِ.

فوبيا

حـينَ تتحـوّلُ كـلّ المشـاعر إلـى فوبيـا؛ تصـبحُ الحيـاة نوعًـا مـن المـوتِ البطـيء، فوبيـا تسـيطرُ علـى حيـاتي؛ يتسـلّلُ المـوتُ إلـى أعماقِ قلبي في زحفٍ ثعبانيٍّ ناعمٍ رقيقٍ.

حيـاةٌ أقسـى مـا فيهـا شـعورٌ بـالخوفِ؛ جعـل حيـاتي كتلـةً مـن الصّلابةِ؛ جمودٌ في جمود.

تقـدّم بـي العمـر وأنـا أخـافُ الحـبّ ولوعتـه، أخـافُ الاشـتياقَ، والحنين.

أخـافُ أن يتركنـي؛ فمـا تقـدّمت خطـوةً نحـو مَـن بـادر بخُطـوة، أبتعدُ أمتارًا، أفرُّ فرار الحمل من اللَّيث الجسور.

بـاتَ قلبـي فـي جليـدِ المشـاعرِ - فوبيـا- تسـيطرُ عليـه تغلّفـهُ؛ لا يستطيع الفكاك منها حتّى؛ يحيا كما تطيبُ له الحياة.

فوبيـا جعلـت تعـاملي مـع البشـرِ - حَـذِرًا - لدرجـةِ الشَّـك المميـت فالكلّ بات في نظري؛ ذئبًا يخطّط ليستفيد.

فوبيا الخسارة جعلت من المجازفةِ بالمالِ، أو التّجارة شيئًا مستحيلا.

ثباتٌ بمستوى متدنٍ من المعيشةِ، الرّضا بالقليلِ لم يكن يومًا عندي عبادة ؛ بل صار خضوعًا واستسلامًا لفوبيا نفسيّة لا أجدُ لها علاجا.

فوبيا التَّعامل مع البشرِ حظرت عليَّ الخروج، والتَّنزه.

فوبيا لعينة جعلت منّي وردة ذابلة هشّة، من حاول لمسها فتّتها .

فوبيا سَرقت منّي الحياة، الحبّ، والعمل.

فوبيا حَوّلتني جُثةً على قيدِ الحياةِ؛ اسمٌ في بطاقةٍ، وصفةٌ ليس لها فائدة؛ تعيشُ كالأنعامِ؛ بل أضل.

في وقفةٍ مع النّفسِ نسمات الحياة هبّت تُنعشُني، راقَ لي أن أعيش، فهل من مغيثٍ؟.!

أندروفين

تسـرَّبَ إلـيَّ، أشـعرني بالسَّـعادةِ، محـى كـلَّ ألـمٍ، أزالَ الكآبـةَ والغـمَّ، رمَّـمَ جروحـي، اسـتوطنَ خلايـا عقلـي؛ حتّـى سـيطرَ عليها، أصبح لا غنى عنه الآن؛ قد تمكَّنَ وحكمَ.

أفكّـرُ فيـه بدايـةِ يـومي، أنـامُ علـى صـوتِ همسـاتِه، لهيـبِ أنفاسِه، وكلماتِه الَّتي تتغلغل في عقلي، وتسري في دمائي.

غدا محورَ حياتي ولحظاتي، لا أسعدُ إلّا به .

كلُّ نبضةٍ فيَّ تخفقُ له؛ وتأنسُ به.

اعتلـى عـرشَ العقـلِ، وتمكَّـنَ مـن القلـبِ، سـيطرَ علـى مجريـاتِ الحياةِ.

استيقظت ذاتَ يومٍ، رحيلٌ مفاجئٌ دونَ سبَبٍ؛

الأعراضُ الإدمانيةُ بدأت بالظُّهورِ عليَّ:

السُّـؤالُ، البحـثُ، الرَّسـائلُ الَّتـي لا تُجـاب، المهاتفـاتُ الصَّـامتةُ، البعثرةُ، الثَّورةُ، الهذيانُ، القلقُ، البكاءُ...

كأنّني أشلاءٌ من عوارضَ نفسيَّةٍ، تتجوّلُ هنا وهناك.

سؤالٌ: لماذا غيابُه يملأُ عقلي، ويحرقُ قلبي؟!

سعيٌ مستمرٌّ ، محاولةُ إصلاحِ ما تصدّع بيننا، هرولةٌ، صراخٌ، نحيبٌ، شعرٌ مبعثرٌ لا تُلملمه الضَّفائرُ، شفاهٌ متلهِّفَةٌ بأنفاسٍ لاهثةٍ؛ حالةُ البحثِ عن الأندروفينِ في أوجها، أينَ هذا الدَّواءُ؟!

أعراضُ انسحابٍ من الجسدِ والعقلِ تسلبُ كلَّ طاقة في عودةِ الحياة؛ نومٌ متواصلٌ ، فقدانُ الشّهيّةِ للطّعام، وتتوالى الأيامُ والشُّهورُ.

حالةٌ من الوهنِ الجسديّ والعقليّ يستمرّان طويلًا.

في صحوةٍ ضعيفةٍ من عقلها استندت إلى الجدارِ؛ اغتسلت، ثمَّ صلَّت، لملمت شعرها، أخذت قطعةَ الشّوكولاتةِ المفضّلةِ لديها، أشعلت التِّلفازَ على فيلمها المفضَّلِ؛ والأندروفين يسري في أوصالها..... لتعودَ للحياةِ ببطءٍ شديدٍ.

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ

حيـاةٌ ملؤُهـا الألـمُ، الفقـدُ، الحـزنُ، المعانـاةُ، طفولـةٌ بالكـادِ تُعـاش، وشـبابٌ مُرْهَـق بالعمـلِ، عشـتُ حيـاتي مـا بـين عمـلٍ وسـعيٍ، كفاحٍ وعبادة.

أينَ الجانبُ المترفُ في تلكَ الحياةِ؟.!

أيـنَ البسـمةُ!، أيـنَ الحـبُّ!، أيـنَ المـالُ! أيـنَ وأيـنَ كـلّ جوانـبِ الرَّفاهيةِ غيرِ المتاحةِ.

عشـتُ أتلفّـتُ حـولي فـلا أجـد حيـاةً؛ رُغـمَ أنَّ أحلامـيَ تُعـانقُ السَّماءَ؛ سفرٌ، عملٌ، حبٌ، مالٌ ودلالٌ.

مـع مـرورِ الوقـتِ اكتشـفتُ أنّ هـذه الأحـلامَ ليسـت إلّا جـزءًا عاديّـا مـن الحيـاةِ، فأنـا لـم أنـل إلا جانبًـا واحـدا مـن الحيـاةِ، أمّـا باقي الجوانب فلم أشمَّ ريحَها.

ضـحكتُ مـن أحلامـي، اكتشـفتُ تعاسـةَ أيـامي؛ عشـتُ أيامًـا بريئـةً خاليةً من الأحلامِ.

ذاتَ يـومٍ - الأول مـن رمضـان، وقـد كنـتُ معتـادةً علـى قيـامِ اللَّيلِ- فـإذا بـي أطيـل فـي قيـامِ اللَّيـل حتّـى بـدأتْ تواشـيحُ الفجـرِ، جلسـتُ علـى سـجادّةِ صـلاتي اسـتمعُ لقـرآنِ الفجـرِ؛ بـدأ شـيخُنا يرتّـلُ أيـاتٍ عطـراتٍ فاسـتوقفتني آيـةٌ " هُـوَ عَلَـيَّ هَـيِّنٌ" سـرحتُ بينَ حروفِها، صرتُ أخاطبُ عقلي: أيُّ شيء هيّن؟!

أجـابَ عقلـي: كـلّ شـيءٍ هـيّن؛ سـعادتُك، أحلامُـك، قلـبٌ يحبـك، أموالٌ متوفّرةٌ، هناءُ العيشُ، طيبُ النَّفسِ، وروعةُ الحياةِ.

إذا أرادَ اللهُ له فيكون قبل أن يقول.

هُـوَ عَلَـيَّ هَـيِّنٌ؛ أنَّهـا الحيـاةُ جميعهـا يؤتيهـا الله لمـن يشـاء، يبـدّلُ الأقدارَ، ويغيّرُ الأحوالَ.

أفقـتُ مـن شـرودي علـى " الله أكبـرُ" قـد ارتفـعَ الأذان، "الله أكبـر" تمـلأُ أركـانَ المنـزلِ؛ تهزّنـي بشـدّة؛ فأيقنـتُ أنّ الحـلَّ فـي الصّلاةِ والدّعاءِ.

أنا الخنساءُ

قويـةٌ مثلُهـا، أُربـي الأجيـالَ، أصـنعُ الأبطـالَ، أحـاربُ بهـم الظُّلـمِ والعدوانِ.

أنا الخنساءُ قد تجسدتْ فيَّ روحها، أُلقي الشِّعرَ جليلةً أبيةً.

جميلةُ الأوصافِ لي في كلِ دربٍ علمٍ.

أنـا الخنسـاءُ قبسـتُ مـن ربـةِ الشِّـعرِ أفضِـله، أصـوغُ الحكايـا، أسحرُ البشرَ.

أنـا الخنسـاءُ شـيماءُ الطِّبـاعِ نسـيبةً ذات جـلالٍ وقـدرٍ؛ أسـوسُ مفاتيحَ الحياةِ؛ فأنهضُ بالأممِ.

أنـا سـيدةُ الأرضِ وصـانعةُ الرِّجـالِ، ملكـتُ المشـارقَ والمغـاربَ بحسنِ الفطنِ.

قد سكن الحزن أحداقها؟

لا أفهم لماذا تلك العيون دوماً لامعة؟

حين أنظر إليها فى عجالة، أثناء سيرى داخل أروقة الشركة أراها شاردة، أو أنه دوماً يخيل لى أنها هكذا، ولكنها تعمل مثلنا تذهب، وتعود تتحدث وتضحك، ولكن سؤالى الدائم الذى لم أجد له إجابة: لماذا ألمح فى عينيها دمعة خفية؟ ألهذا الحد هى حزينة؟

لماذا دوماً شاردة؟ يحيط بحياتها هالة من الغموض التى تثير فضولى، تعابير وجهها ثابتة مع جميع الناس؛ فهى ترسم ابتسامة هادئة مع لمحة الحزن فى عينيها: إجابات مختصرة، وصوت لا ينبئ عن مشاعر؛ فأنت محال أن تعرف هل حزينة ؟ أم تهذى؟ تتحدث بصدق؟ أم كاذبة؟ ما مدى عمق معلوماتها؟

أحياناً أراها فى غاية الذكاء وتارة أخرى أراها غبية، تارة أحب حديثها ومرة أخرى أنفر منها، منذ أيام قد رأيتها تعمل بجد وما أن حدثتها حتى أعطتني نفس الوجه الذى لا أفهمه

وبدون وعى منى صدرت بعض الكلمات الغبية، لها وردود غاية فى التقليل منها، ولكنها لم ترد بنفس الشيء إنها تجنبت تماماً الحديث معى، والنظر إلىَ، و العمل معى: حتى وإن اضطرت لذلك فأنها تكتفى ببضع كلمات موجزات للغاية وإن تظاهرت أنى لا أفهم ما تريد؛ حتى تتكلم معى بضع كلمات أخرى؛ تركتنى وذهبت مكتفية بابتسامة دون أدنى محاولة منها لتوضيح ما تريد ولسان حالها يقول لن أعطيك من جهدى فأنت لا تستحق.

والآن هل لى أن أعرف ماذا حدث معها ليجعلها بهذه التركيبة الغربية؟

-ولكن لماذا تشغل كل هذا الحيز من تفكيرى هذا هو السؤال الأهم!

والسؤال الأكثر أهمية لماذا قد سكن الحزن أحداقها؟

بلوكٌ عقليٌّ

البلوكُ في لغةِ العصرِ الحديثِ هو "الحظرُ"؛ فأنتَ تقومُ بمنعِ شخصٍ من التَّواصلِ معكَ مرةً أخرى؛ نتيجةً لإهانتِكَ، أو الخلافِ المستمرّ معكَ.

فهذا البلوكُ يُعدُّ نوعًا من أنواعِ الانتقامِ، والتَّخلّصِ من هذا الشَّخصُ، فهو سبيلٌ للسَّلامِ النَّفسيّ.

فالعلاقاتُ في مواقعِ التَّواصلِ أصبحت مُهانةً، ركيكةً؛ فالكلُّ متاحٌ، كلُّ الأشياءِ مستباحةٌ وعلى عكسِ الواقعِ أصبحت العلاقاتُ ضربًا من التَّصارعِ والجدالِ اللامنتهي.

عقولُنا تحتاجُ راحةً لا تجدُها في وسائلِ التَّواصلِ الاجتماعي، أو الحياةِ بصفةٍ عامةٍ؛ صرنا تائهين مشتّتين بينَ رحى الحياةِ.

علينا أنْ نجدَ مخرجًا لكي تستقرَّ الحياةُ، ولم أجد - من خلالِ التَّجربةِ - أفضلَ من "البلوكِ العقليّ" أو الحظرِ العقليّ؛ فكما تقومُ بعملِ بلوكٍ لمَن لا تُريدُ التَّواصلَ معه فيختفي تمامًا من صفحتِكَ بكلِّ تفاصيلِه عليكَ أنْ تدرّبَ عقلكَ على عملِ البلوكِ

لتُخفي ما يُضايقُكَ في واقعِكَ أو حتّى على شبكاتِ التَّواصلِ أيضًا، رُغمَ وُجودِه أمامكَ.

البلوكُ العقليُّ حالةٌ عقليةٌ وجدانيةٌ؛ تضعُ نفسكَ فيها تُقرُّ لعقلِكَ الباطنيّ أنِّكَ لا ترى هذا الشَّخصُ ولن يؤثّرَ عليك بعد - من هذا؟!، كيف؟!، لا أعلمُ - حالةٌ من البلاهةِ العقليّةِ تجاهَ ما يُؤذيكَ حتّى تتخطّاهُ، ويُدفنُ في مقبرةٍ لا نهائيّةٍ داخلَ عقلكَ؛ ففعلهُ لا يُؤثّرُ عليكَ وأذاهُ لا يصيبُكَ؛ رُغمَ تعاملِكَ معه، سماعُكَ صوتَهُ، وتأثيرُهُ عليكَ.

حالةُ خروجٍ من رحمِ الأذى النَّفسيّ إلى حياةِ الهدوءِ، والطّمأنينةِ النَّفسيةِ، ولادةٌ جديدةٌ عقليةٌ لا يشعرُ بها أحدٌ تمارسُها في صمتٍ تستمرُّ أشهرًا، وسنواتٍ؛ حتّى تعتادَ عليها، حينئذ ترى نوعًا آخر من الحياةِ بعقلٍ جديدٍ، ومشاعرَ حياديّةٍ.

نسخةٌ أفضلُ منكَ قادرةٌ على التَّطوّرِ، والإرتقاءِ، نفسٌ هادئةٌ، وقلبٌ دافئٌ جديدٌ يتعاملُ مع الأمورِ برويّةٍ، وحكمةٍ.

طاقاتٌ لا تُهدرُ هباءً، ومشاعرُ لا تُوضعُ في غيرِ محلِّها؛ إنَّه حلٌّ عمليٌّ للمشكلاتِ الّتي لا نستطيعُ التَّخلصَ منها، أو

الأفـرادِ الـدَّائمين معـكَ رُغـمَ أذاهُـمُ إنَّهـا ليسـت سـلبيّةً؛ بـل حـلًّا عمليًّا للخروجِ من الآلامِ دونَ مشكلاتٍ.

راحـةٌ عقليـةٌ قلبيـةٌ؛ لمـنْ اسـتنفذوا سُـبلَ النَّجـاةِ للموشـكين علـى الهلاكِ لفاقديّ الدَّعمِ، السَّندِ، والمعونةِ في الحياةِ.

ثورة الشَّك

المشهد الأول

جالسٌ، وبجواره فنجان القهوة، شبَّك أصابعه، نظر سقفًا، تفكير عميق، عينان تشتعلان، ينفخ دخان سجائره يشعل الواحدة تلو الأخرى؛ هدوء يغلِّف لظى بركان متأجّج يفجّره أقلّ كلمة تُقال، رأسه يغلي، تصلّبت دماؤه في العروق، ألغام توشك على الانفجار تُنهي كلَّ قدرة على التَّفكير؛ شكٌّ قتَّال أين؟! متى؟! كيف؟! أسئلة عادية تحوّل مجرى الحياة إلى ساحة حرب.

شكٌّ ينخر في الرّأس، ينحل الجسد، يتحسّس منه النَّاس، كمرض عضال ليس له علاج.

المشهد الثَّاني

ظلَّت تبحث، تفتِّش هنا وهناك، ألقت ملابسه أرضًا، بعثرت أشياءه الخاصّة، اخترقت هاتفه، شعرها المبعثر يرثي عقلها الَّذي طار نصفه؛ قِدْر من الماء يغلي على موقد النَّار، تبخَّر ماؤه صار كالقنبلة الموقوتة الجاهزة للانفجار مع أبسط لمسة،

صـراخ وتهديـد، شـكٌّ فـي كـلِّ حركـة، كـلِّ كلمـة، كـلِّ نظـرة؛ أصابع الاتهام تنبئ عن رحيل مميت.

المشهد الثَّالث

شيخ نـائم فـي مرضـه الأخيـر، ينهـار كـلَّ ثانيـة، كـلَّ رشـفة دواء، كـلَّ قطعـة طعـام، كـلَّ قطـرة مـاء تمـرُّ بسـلام يظـنُّ أنَّـه قد نجـا مـن مـوت أكيـد، قـد سـيطر الشَّـكُّ عليـه، أولاده سـوف يتخلَّصـون مـن عـبء مرضـه فـي أيِّ لحظـة؛ مـات منـذ لحظـة الشَّـكِّ الأوّل، فعلام يخاف من قتله!!!!!!

وهكـذا فالشَّـكُّ ثـورة عقليّـة، هـواجس تقطـع أوصـال الخلايـا؛ فيبـدو المشـكّكُ فـي هالـة مـن الجنـون غيـر المنطقـيِّ، حالـة مـدمّرة للحيـاة، تـزجُّ بالأحبَّـة فـي سـجون الاتّهـام، تسـحق حيـاة الشَّـخص نفسـه والمحيطـين بـه؛ تحـوُّل الوقـت إلـى كتلـة نيـران حارقـة تستعر كلَّما مرَّ عليها الوقت.

لـيس للشَّـكِّ عـلاجٌ إلّا أن تتوضّـأ وتصـلِّي، تجلـس علـى سـجادة صـلاتك؛ تـدعو بمـا تشـاء، فتهـدأ الثَّـورة، ينطفـئ لهيـب البركـان، تتجمّـع الأشـلاء المبعثـرة، يسـتعيد العقـل قدرتـه علـى التَّفكيـر، تبقى في حالة مطمئنة خالية من الشَّكِّ المميت.

قصيدة عشق

كانت تقف في شرفتها المليئة بالزروع، زرعت فيها كل ما تحب من نباتاتٍ، ووروِدٍ.

غطت جسدها كاملًا؛ فاللَّيلة حالكة، الرّياح عاتية، والأمطار تَهطل بغزارةٍ.

فتحت يديها للسماءِ تدعو، كعادتها عند هطول المطر، اسهبت في دعائها، واطالت.

انهمرت فيض الدُّموع منها، رعشةُ البردُ تسري في أوصالها.

جاءَ هو من خلفها، احتضن كامل جسدها، خبأ يديها في يديه؛ ضمها إليه بقوة، وهمس في أُذنها:

منذُ كنتِ صغيرة اعتدتُ منك هذا المشهد، تقفين في المطر، وتُتَمتِمين، منذُ رعتك أمي في دارنا بعد وفاة والدتك - خالتي- أراك تفعلين نفس الفعل، لا أعلم ماذا تقولين؟! مِن أي الأشخاص تعلمت ذلك؟!

توفت خالتي وأنتِ في الرَّابعة، لم تكتسبي منها الكثير.

نفس الرَّعشة، ذات الدموع في كل مرة .

أعلـمُ أنَّ اسـمي مقـرون بكـل تَمتمـة تَفـوح بهـا شـفتاك، فأنـا حبـك الـذي انتظرتــه أعـوام، وهـو لاه غيـر مكتـرث، يتلاعـب بهـن، يتزوج ويطلق، يحب ويخون.

هداني الله على يديك، ومنذ زواجنا، وأنا لا أرى غيرك.

فبماذا تُتَمتمِين؟!

لهيـبُ أنفاسـك يحـرق المطـر فيتبخـر، أصـوات روحـكِ الطَّـاهرة تَختـرقُ السَّـماء فتُسـمع، كلماتـكِ التـي لا أفهـم تعنينـي، فيـا كـل آمالي؛ هلا تركتِ شفتاكِ تُحدث أذناي فأسعد.

صمتت برهه؛ ثم أعادت ما كانت تَذكرُ:

ربي؛ أحبه حبًا جمًا، نارُ عشقه تتلظى، لا تحرمني منه.

ربي؛ هو لي الهواء والماء، فلا تقطع أنفاسي إلا على صدره.

ربـي؛ أريـد أن أتـزيَّن بالولـد الصَّـالح منـه، فـلا تـذرني فـردًا وأنـت خيرُ الوارثين.

ربي؛ قد تأخر اليوم كثيرًا، هلا أتى.

ربـي؛ أنـا غاضـبةٌ منـه لـم يحـدثني طـول اليـوم سـوى مـرتين، فهل هذا ينفع.!!!

ربي؛ لا تعاقبه بتقصيره، فأتوجع.

ربــي؛ اهـده إلــى سـبلِ الرَّشــاد فيأخــذني مــن يـدي ويَـدخل بــي الجنة.

قاطعها: أاستحق هذا يا حبَّة القلب، ونور العيون.

لثمته قبلة؛ واختبأت في أحضانه؛ فقد أنهكها السَّهر.

ما بين قلبها، ودمها

يسيرُ دمها بين حنايا قلبها؛ يلعبُ دور المفتش، المهيمن؛ يزيح كل يوم بقايا سخافات الحياة، وضغط القدر.

يستمر القلب في نظافة، طهارة عامة، ونقاء السَّريرة.

دمها: ما هذا ؟!!!!!!

أهذه آثار لوحة جديدة ترسمها؟!

ما هذه الألوان، وتلك البقع؟!

من هذا الذي يقبع داخلك؟!

-بحدة وغلظة- أتشعر؟! أتعود للحياة؟! ألم تتعلم الدَّرس؟!

ما هذا؟!!!!!!! آثار فرحة، ضحكة.!!!!

كفاك إيلامًا لها؟! ألم تكتف؟!

قلبها: مالك أنت !

تلعب دور الواصي عليَّ، صحيح أنك تنظف، تحرس، توجه.

طأطأ القلب رأسه وأكمل: ليس لي حيلةً، قد تسلل إليَّ على حين غفلة مني، لا أعرف صاحب الصُّورة، وإنما شبح طيف يجوب داخلي.

ما المانع أن يبقى؟!!!!!

لا تحركه من بين جنباتي، اجعله يقبع داخلي، أريده بشده، اسمح للحب أن ينتشر داخلي، أن يستقر بين زوايا أروقتي، وأن يغذي كل ذرة داخلي، لا تلقيه خارجًا أتوسل إليك.

دمها: أخاف عليك المشاق، اللَّوعة، الاشتياق، من أدراك أنه سيظل!! أو أنه يحب!! آلاف الأسئلة التي لن تجد لها إجابة.

قلبها: دعني أجرب.

دمها: يغلي بشدة، يزمجر، يكشر عن أنيابه، قد حان وقت المعركة..... صراع جديد.

تنام المسكينة نومة الطِّفل الرَّضيع، لا تشعر بالحرب داخلها بين قلبها، ودمها.

نورٌ ونارٌ

الغيـرةُ وهـجُ الهدايـةِ الَّـذي نسـيرُ وراءَهُ، ومضـاتٌ مـن أنـوارٍ؛ تُخبرنا أين الطَّريقُ؟!

حالـةٌ طبيعيّـةٌ وجدانيّـةٌ تسـيطرُ علـى العقـلِ، يشـعرُ بهـا كـلُّ فـردٍ منَّـا. تجـدُ نفسـكَ مرغمًـا علـى التَّفكيـرِ بـوخزاتِ الإبـرِ تجـاهَ أحـدِهم، ولا تعـرفُ لمـاذا هـو؟! مـاذا فيـه كـي تتـأذى لحـديثِ إحداهنَّ له ؟!

إنَّهُ نورٌ يُوصلُكَ إلى طرفِ الخيطِ الضَّائعِ في الظَّلامِ .

إنَّ قلبَـكَ ينـبضُ، لـو احتـلَّ أحـدُهم ركنًـا بقلبِـكَ، وبـدأَ بالاختبـاءِ فيه.

نـورٌ يُشـعلُ العقـلَ كـي يفكّـرَ أكثـرَ، ويُبصـرَ أكثـرَ، ويـتمعّنُ فـي حوادثَ مرّتْ أمامكَ، وما كنتَ تُلقي عليها بالًا.

حالةٌ من الثَّورةِ الدَّاخليةِ المستنيرةِ، والشَّكِ البنَّاءِ.

ومضـاتٌ مـن نـورٍ متقطّـعٍ، تُلقـي الضَّـوءَ علـى التَّصـرّفاتِ، والحركـاتِ والتَّعبيـراتِ، الّتـي تَصـدرُ مـن طـرفٍ تنتمـي إليـه،

لتعرفَ عنه أكثرَ، وتُقيّم ذاتَكَ من خلالِه أكثرَ، وتُوضِّحُ طريقًا تسيرُ فيه أكانَ صوابًا أم خطأً؟ !

حالةٌ مضيئةٌ تسيطرُ عليكَ، لتتحكَّمَ بتصرّفاتِك، فَتُواجهُ نفسَك بالسِّؤالِ قبلَ الهياجِ والثَّورةِ، تفتحُ العقلَ، تزيدُ المعرفةَ، إنَّها تُعطيكَ ثقةً بنفسِك كلَّما تحكّمتَ بها، وفهمتَ ذاتَك، ومَنْ معك في شراكةِ الطَّريقِ.

تطرحُ عدّةَ أسئلةٍ لتُجيبَ عنها بشكلٍ عقلانيٍّ :

هل يستحقُّ هذا الموقفُ غيرتي؟!

هل ذاتي، وكرامتي تسمحُ لي بهذه الثَّورةِ والهياجِ أمامِ موقفٍ بسيطٍ؟!

هل أثقُ بطرفٍ أنتمي إليه؟!

هل؟ وهل؟ وهل؟

مئاتُ الأسئلةِ الّتي تُنيرُ عقلَكَ، وتصحّحُ مسارَ حياتِكَ.

إنّها نارٌ حارقةٌ إذا تَخطّت حدَّها.

ثورةٌ وهياجٌ، اتّهاماتٌ باطلةٌ، عمى بصيرةٍ، لعبٌ بالأعصابِ، دخانٌ يَخنقُ الأنفاسَ، التهابٌ شديدٌ يصيبُ القلبَ

والمشاعرَ؛ يحرقُ خلايا التَّفكيرِ في عقلِكَ فلا تتجاوزهُ مهما كان.

نارٌ ملتهبةٌ لا تنطفئ، لن تستطيعَ التَّحكمَ بها تأكلُ ذرّاتِ نفسكَ، تقرّبُكَ من حافّةِ الجنونِ، ولا يقدرُ عليها إلا منْ امتلكَ زمامَ عقلِه، وصَاحَبَ الحكمةَ .

لفحةُ لهبٍ تَطالُ مَنْ تُحِبُّ، حريقٌ عارمٌ يُشعلُ ذَاتَكَ، ومَنْ أمامكَ، تُخبرهُ بشكلٍ أو بآخرٍ أنَّكَ لا تثقُ به، أنَّكَ أقلُّ من توقعاتِهِ.

فقدانٌ تامٌ للسيطرةِ على مجرياتِ الأمورِ، مشكلاتٌ كبيرةٌ، ألمٌ ، انهزامٌ، احتراقٌ؟ كلُّها أمورٌ تُودي بنا إلى فقدانِ أحدِهم، رغم احتياجِكَ له.

فالغيرةُ نورٌ إنْ اهتدينا بها، عزّزْنا سُبلَ الحكمةِ في التَّعاملِ معها، أخذنا فترةَ راحةٍ لتستنيرَ عقولُنا، تَمسّكْنا بمن ننتمي إليه، ووثقنا ثقةً تامةً بأنفسِنا؛ فَما يجري أقلُّ من طرفةِ ألمٍ تُصيبُنا.

ونارٌ إنْ تركناها تتحكّمُ بعقولِنا، وبمجرياتِ أمورنِا، وبمنْ أحببنا؛ فلنقتبسْ أنوارَها ونترُك نيرانَها.

تراتيل عاشقة

لما كانَ خادمُ مسجدِ الحسين جارَها، صديقَ أبيها المفضَّلِ- رحمه الله - يفتحُ لها المسجدَ وقتما تشاءُ. تُقيمُ اللَّيلَ أمام ضريحِ الإمامِ الحسينِ ، دموعُها تُغطّي وجهَها، تشهقُ، تنهجُ، وقلبُها يرتجفُ.

اتكأت على سورِ الضَّريحِ الَّذي يفوحُ منه عبقُ البركاتِ، رائحةٌ زكيّةٌ لا هي من العطورِ، ولا الزُّهورِ؛ وإنَّما رائحة ملائكية.

ناجت في بكاءٌ مُرٌّ، دموعٌ حَارَّةٌ، شهيقٌ يُسمعُ صداه في السَّماءِ، وآلامٌ حارقةٌ تُدمي قلبَها.

يا ربُّ مررتُ بأشدِّ حالاتِ الضِّيقِ حينَ أحببتُ - مَن ليس لي -؛ هذا الطَّويلَ الممشوقَ ذا اللِّحيةِ الخفيفةِ الحالكةِ، والعينين الواسعتين الملوّنتين بزرقةِ السَّماءِ، ذا الصَّوتِ الوقورِ، والكلماتِ الجادّةِ، ملابسُه بينَ العصريّةِ والكلاسيكيّةِ؛ تتّسمُ بالأناقةِ والذّوقِ، يُحبُّه كلُّ مَن يعرفه، يتميّز بحسِّ الفكاهة، جدِّيٌّ دون غلظة، أستاذي، معلِّمي، مديري في عملي، جاري؛

يكبرنـــي بعشـــرين عامًـــا، متـــزوجٌ وحياتُـــه مســـتقرّة، ولكنَّنـــي أحببته، كيف؟ لا أدري! متى؟ لا أعلم !

، بيني وبينَه أبحرٌ وجبالٌ من العوائقِ.

وحـدَك يـا اللهُ تسـتطيعُ أن تُزيـلَ الحـبَّ مـن قلبـي، حتَّـى أتخلّـصَ مـن عذابِي،خـذْ قلبـي إليـك ، أخـذُ الكـرامِ عليـك لا تتـرك الحـزنَ يأكلُ روحِي .

أريـدُ الـتَّخلصَ مـن آلامِ الحـبِّ الَّتـي تحـرقُ أنفاسـي، وتقـضُّ مضـجعي، أريـد المـوتَ، الخـلاصَ، أريـد وأريـد ....، .... ولا أعلمُ ماذا أريدُ.

وإذا بيـدٍ تربّـتُ علـى كتفِهـا؛ اللهُ أكبـرُ تمـلأُ أركـانَ المسـجدِ؛ فـإذا بالصَّلاةِ تُقامُ وفجرٌ جديدٌ يشرقُ.

هذيان

دماء تلطخ ملابسي، غرفتي مليئة بالأشلاء.....

من أين أتت هذه الدماء، وتلك الأشلاء... لا أعلم.

أصوات مرعبة؛ عواء الذئاب، مواء القطط، نباح الكلاب، وأصوات الريح العاتية تصفق النوافذ..... ما هذا الصوت الذي يقترب؟ !!!!!

عواء الذئاب يعلو، ويعلو؛ إنهم يتجهون نحوي؛ حادي الأنياب، لاهثي الألسن، عيونهم نيران تضيء غرفتي، أحاول الهرب... ارتطم بالجدران، أنهض مرة أخرى، أحاول فتح الباب، علقت يد الباب فلم يعد يفتح، إنهم أرواح شريرة، تريد أخذ ثأر قتلي لزوجي؛ إنهم عائلته، وهو يتزعمهم، إنه ذلك الذئب الأحمر الذي يتقدم نحوي ببطء، يأخذ روحي رعباً، قبل أن يلتهمني، أعرفه جيداً هو هكذا في حقيقته، عيناه حمراوتان، وفمه يسيل بالسم.

لماذا ينتقم، وقد كان هو المذنب؟؟ قتلني مراراً، وقتلته مرة واحدة؛ رمياً بالرصاص؛ ثم تقطيعاً لأشلاء صغيرة!!!! يا

لهولي إنه يقترب أكثر وأكثر، صوت عوائه صرعني أرضاً، ارتطمت رأسي بالأرض، سمعت صوته اللعين .... هيا.. قومي تأخرت على العمل !! هل تنامين مثل القتلى؟! ركلني بقدمه، هيا احضري الفطور وجهزي الملابس... أفقت من هذيان حلمي لأجدني في هذيان واقع مرير.

سيّد الكلمات

نمَّق العبارات، أحسن اختيار الكلمات، تراقصت على شفاهه أعذب الأشعار، طوَّع القلم ورسم بديع الأقاصيص والحكايات.

يجلُّه الكبير والصَّغير، ذو هيبة ووقار، اعتلى عرش البيان فلا تستطيع إذلالَه الكلمات.

أشار لتلك البهيَّة، المتكبّرة فأومأت؛ احترامًا وإجلالًا، اعتلى عرش قلبها، سحر عقلها بحلاوة العبارات، وعظيم حوله الهالة.

ظنَّ أنَّه امتلك؛ زهدًا، تدلّلًا، تكبَّرا.

أفاقت من وهم عاشت فيه قليلًا؛ فأدركت أنَّ سيّد الكلمات لا يحمل الورد، لا يسكن العشَّ، لا يُصلح ما أفسده الآخرون، ولا تأمن بصحبته النِّساء؛ فهو لا يحمل لهنَّ سوى كلمات منمّقة بالخداع.

ياسـيّد الكلمـات قـد علمـت أنَّـك لا تصـلح إلا لـنظم الكلمـات، طـاووس لا يُعاشـر، إفـكٌ قـد زيّنتـه العبـارات، كتـاب فـارغ المحتـوى؛ غـلاف صـارخ ، قصّـة نهايتهـا حزينـة؛ غيـر مترابطـة الأحداث، ركيكة التَّعابير، نابية الألفاظ.

يـا سـيّد الكلمـات أفِـقْ فـي لـم تعـد نسـاؤك هنـا؛ قـد رحلـن وأنـت غـارق بـين الشِّـعر والرِّوايـات، لـم يبـق مـنهنَّ سـوى صـدى الأنَّـات تسـمعها بـين الحـين والآخـر؛ يـنعمن بحيـاتهنَّ، وقـد تـركن لك الإبداع بنظم الكلمات.

مملكة القرود

تتجمَّع القرود، تلتفُّ حول زعيمها؛ يخضعون له، يقسمون له على الولاء والطَّاعة العمياء - قد أخذها بمحضِ القوة - يقرِّر فتنصاع القردة وتصفِّق، يسير فيجري القطيع حوله، يعتلي الأشجار ظنًا منه أنَّه ارتفع واعتلى، الكلُّ يقفز، يهلِّل، يصيح؛ حالة من الهياج والثّورة.

صوت عال يُوحي للعامة بأنَّ المملكة في أوج النّشاط والعمل؛ تتداعى الأحداث؛ أوراق الأشجار المتطايرة، بقايا الطّعام المتناثرة، المخلّفات الّتي يضجُّ بها المكان توحي بحياة عامرة؛ والحقيقة أنَّها: ما هي إلا محضُ مُكاء وتصديَة.

يتملّق الضَّعيف القويّ حتّى يعيش؛ فإذا تمكَّن واعتلى سطوة المشهد صار مثل السَّابق فالأسبق؛ مملكة الصِّياح، القفز، والمهاترة لا تعرف من أمر العمل شيئًا، يسقط فيها - مَن يُخلص - في براثن المؤامرة، صار خطرا على الزَّعيم فحقَّ عقابه.

نشاهد نحن البشر المملكة من خلف سياج، لا نفهم عالمهم هم فقط الَّذين يعلمون ما يفعلون.

لا تبتئس؛ تمتَّع بنقاء قلبك وطيب عملك؛ فقد خلق الله لك العقل لتعبده، تعمل، تفكِّر، تحلِّل، ترتقي بأخلاقك وتعلو؛ فليس كلُّ ما نشاهد يستحقُّ أن نتوقَّف عنده؛ أكمل طريق الخير فلا تعلم أيُّ السُّبل سوف تُفتح.

أشباحٌ عقليةٌ

يُخيّمُ اللَّيلُ بظلامِه على كاملِ البلدةِ، ينامُ النّاسُ إلّا هي؛ تدفنُ رأسَها في وسادتِها، تتلحَّفُ بشدّةٍ، تضعُ سمّاعاتِ الأذنِ، تُديرُ الهاتفَ على أيّ شيءٍ يجعلُها متيقّظةً؛ خشيةَ أن يأتيَ الشَّبحُ فيلتهمُ جسدَها، ويفتكُ بها، إنّه ليس واحدًا؛ بل أشباحٌ كثيرةٌ تحومُ حولَ منزلِها من الخارجِ، وتسكنُ غرفتَها.

جافَاها النَّومُ منذُ سنواتٍ طويلةٍ، بعد فقدِ أسرتِها جرّاءَ حادثِ انهيارٍ جليديٍّ على مقربةٍ من منزلِها؛ كانتِ الوحيدةُ النَّاجيةَ منه.

بعدَها راحت تصارعُ يوميًّا أشباحَ الخوفِ من الموتِ، والفقدِ، أشباحَ الذِّكرى الَّتي ثقبت قلبَها، إنّهم البشرُ الَّذين فقدتِ القدرةَ على الثِّقة بهم.

سيطر الخوفُ عليها ، فلم تجد بدًّا من الاختباءِ، والاختفاءِ منه.

حاولت مرارًا أن تتخلَّصَ من تلك الأشباحِ الَّتي تقطنُ عقلَها ولم تفلح.

أعمدةُ الإنارةِ تسيرُ خلفَها وهي ذاهبةٌ إلى عملِها، كلابُ الشَّارعِ تلهثُ لتفتكَ بها دون غيرها، يتقصّدُها النَّاسُ بسوءِ التَّعاملِ، تجري مسرعةً؛ ذاهبةً آتيةً من أيِّ شيءٍ لا تعلم .

وما أن تدخلَ المنزلَ حتَّى تشعرَ بالرَّاحةِ، ثمَّ تبدأُ الأشباحُ بالظُّهورِ من جديد في مُخيّلتِها.

أزمةٌ حقيقيّةٌ تُعاني منها، ولابدّ من التَّخلُّصِ من تلك الأوهامِ العقليّةِ.

عادت الطَّبيبَ عدّة مراتٍ؛ كان يساعدُها في التَّخلّصِ من أزمتِها؛ ولكنَّها تُريدُ الخلاصَ سريعًا؛ فقد سئمَت.

نهضت من نومِها، ألقت أغطيتَها أرضًا، إنّه منتصفُ اللَّيلِ ،تُصارعُ، وتُصارعُ الأشباحَ؛ سيفٌ طويلٌ حادٌّ في يديّها؛ صرعَتِ العنقاءَ والشّبحَ ذا العينين الحمراوين، صرعتُ الخيالاتِ الَّتي تَجري وراءها ، وبقيت تُقاتل حتَّى انتهتْ منهم جميعًا وصرعتهم.

بعد حرب طويلة طاحنة، مرّتْ لحظةٌ من الهدوءِ ؛ اكتشفت فيها أنّ العنقاءَ لم تكُن إلا ذاتَها، والشَّبحُ ذو العينين الحمراوين هو ظلُّها، والخيالاتُ الَّتي تجري وراءها هي ذاتُ أفكارُها .

لقد صرعت مخاوفَ عقلِها، وباتت بقيَّةَ ليلتُها هادئةً مستقرّةً.

لكنّها تأكّدت أنَّ الخوفَ يُقهرُ بالإيمانِ بالله، بالعقلِ الواعي، بالعملِ الجادِّ المخلص، وبالأفكارِ النَّاضجة.

علمت أنّ أزمتَها ستنتهي بهزيمةِ خوفِها، ودحرِها لأوهامٍ باتت تُؤرّقُ نومَها، وتُكدّرُ عيشَتَها.

ذهبت إلى طبيبٍ، وليس عيبًا أن يطلبَ الإنسانُ عونًا.

شُفيت أخيرًا بعد اقتناعٍ بالعلاجِ، والإيمانِ بقدرتِها على الشِّفاءِ.

فغَدَتْ قادرةً على مواصلةِ الحياةِ بنجاحٍ وفرح.

تغريدة نمرود

جالسٌ على مقعدِه الجلديّ، أمامَ مكتبِه الفخمِ؛ ، هذا يخدمُ، ذاك يُثني،وهذا يُصوّر؛ لقطاتُ العدساتِ، أنوارُ الإضاءاتِ؛ خُيِّلَ له أنَّه المُطاعُ الوحيدُ .

افعلْ، لا تفعلْ، كنْ، اذهبْ،

كلّها إشاراتٌ بطرفِ الأصابعِ؛ عظمةٌ وغرورٌ، تعالٍ ليس في محلِه.

خُيَلاءُ المنصبِ غرَّرت به ألقت بعقلِه في جبِّ الغرورِ.

يَنزلُ من سيّارةٍ فارهةٍ؛ يُعطي الفقراءَ المتراصّينَ في الشَّارعِ ما جادَ به من مالٍ؛ صورةٌ يلتقطُها بهاتفِه، يوثّقُ اللَّحظةَ ينشرُها بغرورٍ.

يَتعالى بعلمِه، يظنُّ نفسَه أعلمَ العارفين؛ يجودُ بمعلومةٍ من طرفِ أنفِه يُشعرُ من أمامِه بالحقارةِ؛ يتكلّمُ بكلِّ غرور .

هذا صاحبُ جاهٍ، ذاكَ معه المالُ، وهذا بشرٌ عاديٌّ يرى النَّاسَ نملًا يسير.

غـرورٌ وكبـرٌ؛ آفـاتٌ قلبيّـةٌ لـيس لهـا محـلٌّ مـن الإعـرابِ، ولا توجدُ إلّا في بني الإنسانِ.

سـوادُ القلـبِ، ضـيقُ الأفـقِ، وضـجرُ الـنَّفسِ، كلّهـا أعـراضٌ مصاحبةٌ للكبرِ، والغرورِ.

نظـرةٌ دونيـةٌ لكـلِّ فـردٍ دونَ مبـرّر. مشـاحناتٌ، مهـاتراتٌ؛ فـي دنيا عجائبِ الإنسانِ.

هـذا يُـذلُّ آخـرَ، وآخـرُ يتسلَّطُ علـى ثالـثٍ، تسـيرُ الـدُّنيا فـي دائـرةِ الآفاتِ النَّفسيةِ الَّتي ليسَ لها نهايةً.

الكبرُ آفةٌ قلبيةٌ تَجني ثمارَها في الدَّنيا قبلَ الآخرةِ.

تعلَّـم أن تتواضـعَ، تَرفَّـع عـن سـيئاتِ نفسِـك، مـارس تمـارينَ ضـبطِ الـنَّفسِ، ردّد فـي نفسِك : يـا نفسُ لا تتكبّـري فـآخرُك طعـامٌ لـدودِ الأرضِ، انظـر إلـى نفسِـك؛ أنـتَ ذرةٌ فـي كـونٍ وأفـلاكٍ، حقِّـر ذاتَـك تِجـاه خالقِهـا، تـذلَّل لله؛ وارفـع قـدرَ المحيطـين؛ تجـدُ علاجَ الغرورِ.

طاعـاتٌ تقضـي فيهـا سـاعاتٌ؛ تسـبيحٌ، قيـامٌ، وصـيامٌ؛ يقضـي على نفسٍ قد ملأَها الغرورِ.

في اللاحياة

لوحــةُ مفــاتيحَ رســمت حيــاةً، ورســمَتْ ورودَ المحبّــين مــع ملصــقاتِ صــباحِ الخيــرِ؛ هكــذا وصــلنَا الــرَّحمَ، صــورةً عــابرةً فيهــا أعــينٌ وقلــوبٌ؛ وصــارتْ بدايــةَ قصّــةٍ رائعــةٍ داخــلَ لوحــةِ المفاتيحِ، ولا تتعدّاها .

حبٌّ رقميٌّ؛ هيامٌ، قلقٌ، وولهٌ افتراضيٌّ.

أنــا متــزوجٌ؛ ولــي مــن الحبيبــاتِ ألــفٌ؛ بمجــرّدِ ضــغطةِ زرٍّ واحدةٍ.

مــريضٌ قــد عــدناهُ بعلبــةِ حلــوى، وباقــةِ وردٍ إلكترونيــةٍ، وآخــرُ شــددنا أزرَه؛ بتعزيتِــه فــي أحــبِّ النَّــاسِ إليــه بمراســلةٍ خاصّــةٍ جــدًّا فيها أسمى عباراتِ الدَّعمِ.

حياةٌ افتراضيّةٌ داخلَ حياةٍ ليست حياةً.

كلّها إفكٌ ،زيفٌ ؟خداعٌ وسفرٌ .

وأنــا جــالسٌ فــي عتمتــي، حــبٌّ يُجــافي الجســدَ، خــالٍ مــن المشاعرِ .

فأين الهمساتُ، وصوتُ المشاعرِ، والعناقِ.

كيف لتلك المشاعرُ الباردةُ بالأزرارِ أنْ تنالَ من حياةٍ حقيقيّةٍ. دفءٌ، انفعالٌ، شدٌّ وجذبٌ، مع المزيدِ من الاحتواءِ.

فهذا انفصالٌ بحَظْرٍ، هذه زيارةٌ بكلمةٍ، وهذا سفرٌ عبرَ الصُّورِ؛ حياةٌ مزريةٌ ليس فيها حياة.

قالت له ذاتَ يومٍ: أحبُّ الوردَ؛ فأمطرَها بصورِ الوردِ، وأرقِّ الكلماتِ.

قالت: أريدُها حقيقةً

قال: بيني وبينكِ مسافاتٌ، ومَشاقٌ .

فهل هذا ما نتمناهُ؛ خدعةٌ إلكترونيةٌ وحياةٌ مزيّفةٌ؛ لنتركَ الحياةَ بكلِّ جمالِها أو مآسيها.

نعيشُ أوهامًا، نتركُ حقيقةَ الحياةِ، وجمالَ العيشِ ، كي نموتَ ببطءٍ في اللاحياة.

على كلِّ عقلٍ مفكّرٍ؛ أنْ يأخذَ واقعَه الافتراضي إلى واقعِه الحقيقيّ؛ فيزورُ صديقَه المريضَ الّذي يعرفُه من صفحتِه، ويحوّلُ أصدقاءَه الافتراضيين إلى حقيقةٍ؛ رغم أنفِ التِّكنولوجيا، يُحبُّ بصدقٍ ويتزوّجُ محبوبتَه.

علينــا أنْ نُطــوّرَ الحيــاةَ الافتراضــيةِ، نجبرَهــا، نطوّعَهــا رغــم أنفها؛ لنجعلها واقعيّةً؛ كي نسعد بالحياة.

آكلةُ السَّعادةُ

فـي ليلـةٍ شـتويّةٍ قارصـة البـرودة هـدأت ثـورة المنـزل؛ الكبيـرُ والصَّـغيرُ نيـامٌ، تـذكّرتُ أغـانيَ " سـاهرية " القديمـة؛ فتحـتُ بعضًـا منهـا، أعـددتُ كوبَـا مـن الشَّـايِ كـي أتـدفّأ ، تـدثّرتُ فـي لحـافي، أسـتمع إلـى الأنغـام السّـاحرة، أرتشـف الشّـايَ ،والهـدوءَ والسّعادةَ، - وقتٌ نادر من الخلوةِ المطمئنة السّعيدة. -

مـع دخـولِ الثلـثِ الأخيـرِ مـن الليـل أصـوات ضـجيج مرعبـة؛ تحطـيمٌ، تَهَشُّـمٌ، عـدوٌ هنـا وهنـاك، لطمـاتٌ أتلقّاهـا، كـلٌّ ينفجـر داخـل عقلـي، ريـاحٌ عاتيـةٌ تصـفرُ فـي أذنـي، عـينٌ تبكـي، رعـبٌ، قلقٌ، جسدي ينتفض بشدّة ما هذا العبث!!!!!!

صـوتُ صـريرُ القلـمِ الّـذي كتـبَ وثيقـة طلاقـي؛ مـازال يـدوّي كالهـاون بـأذني، يـومٌ عصـيبٌ؛ اجتـاحتني ذكـراه؛ دمّـرت كـلّ لحظةٍ هادئةٍ أعيشها، امتصّت دماءَ قلبي.

استسـلمتُ لهـا، تكسّـرت عظـامي، رقـدتُ علـى سـريري دون حراك؛ أتذكّرُ، وأتذكّرُ؛ تنهمرُ دموعي بلا توقف.

أفقت من غيابي على صوت أذان الفجر وكأنّه يهمس لي - (قد حان وقت البداية منذُ الآن).-

أيدٍ مرتعشة

مشاهد حياتية

المشهدُ الأول

عقلٌ رجعيّ، لا يعرف من الدنيا سوى كلمة لا؛ لا للتنزه، لا للتسوق، لا للأصدقاء، لا للمحادثات الهاتفية، لا للإبداع، المرأةُ مكانها المطبخ، كيف تعمل، كيف تربي، كيف نسير وفق رأيها، لا للمرأة، الرجل يفهم، يعقل، يحكم زمام أمره، وفي نفس الوقت يعتمد كليًا على امرأته تُربي، تُعلم، تُمرض، تُصلح ما فسد في البيت، تعمل، تشارك بكل راتبها لتستقيم الحياة؛ أنها أيد مرتعشة تخاف الإقرار بالواقع، بأن المرأة أصبحت نصف رجل ونصف امرأة؛ قد تخلى هو عن مسؤولياته وألقاها على عاتقها ففقدت الأنس، السكن، السند.

المشهدُ الثاني

عقل فاسد، لا يعرف سوى المادة، الكرسيّ، نظرةُ الناس له، أمره ليس بيده، يتحكم فيه شهوة السلطة؛ تراه مرتعشًا في قراراتهِ، يخاف الحق ويحيد عنه بشتى السبل، يعرف جيدًا

مـن أيـن تُؤكـل الكتـف، فيجـري يلهـث وراء القمـم، يَلعـق أحـذيتهم، حتـى لا يُلقـى بـه خـارج المشـهد، يـده لا تعـرف سـوى المحابـاة لمـن لـه مصـالح معهـم، يـده دومًـا مرتعشـة، تتحسـس برفق سبل التحرش بالحرام في مظهر الشيخ العليم.

المشهدُ الثالث

عقـل فـارغ، لا قيمـة لـه، جاءتـه الفرصـة فانتهزهـا؛ ليثبـت أنـه قـدير، أنـه ذو فكـر ومكانـه، وأنـه بكـل أمـر خبيـر، يـده مرتعشـة يسـرق الأفكـار، يُخبـرهم أنهـا لـه حتـى يظـل متمسـكًا بكرسـيه، لا يـتعلم، ولا يطـور، يعـيش طُفيـل علـى أصـحاب الألبـاب الدّريـة، يـده تهـوى مسـح المعـاطف والأحذيـة، مرتعشـةٌ دومًـا تجـاه كلمـة حـق يقولهـا، أو موقـف بطـولي، يلهـث وراء لقمـة عـيش مغموسـة فـي ذل، جـرذٌ كبيـر، يظـل مرتعشًـا يـدًا وذيـلًا خـائفٌ مضـطربٌ، ينتهز الفرص ليعيش.

تلاتـة مشـاهد متأصـلةٌ فـي مجتمعـاتٍ شـارفت علـى الإنهيـارِ، تـتحكم فيهـا عقـول باليـة، تربـت علـى موروثـات خاطئـة، لا ديـن، لا وطن، لا علم، تسير على حافة طريق آخره إنهيار أكيد.

لكـل يـد تربـي، حـاولي أن تنشـئي جـيلًا مـن الرجـال، والنسـاء ذوي أيـد قويـة قـادرة علـى التغيـرِ، والإبـداع، ملتزمـة بـدينها،

وتقاليـد عروبتهـا، شـرفها فـوق مالهـا، والحـق فـوق المنصـب، تستقيم لنا الحياة حينها.

تَعْوِيذَةُ عِشْقْ

فـي غابـاتِ أفريقيـا الجميلـة كنـتُ أسـيرُ مـع مجموعـةٍ مـن أصـدقائي فـي فريـقِ البحـثِ لاكتشـافِ أغـرب عـادات الأفارقـة، انزلقـتْ قـدماي، وقعـتُ فـي أحـدِ السـهول قـرب النهـر العظـيم. فُزعـتُ، وارتعشـتْ فرائصـي حـين وجـدت شـابة قويـة البنيـان فـوق أحـد فـروع الشـجر، لونهـا كسـواد اللَّيـل الـذي كنـا فيـه، تتحرك بخفةِ القرود بين الأغصان، تُحلقُ بسالسةٍ كالطير.

استنجدت بها، نهرتني.

توسلت لها، لم أدرك أنها تبتسم إلا من بياضِ أَسنانُها.

قالـت: سـوفَ ينقـذكُ مـن أحبـكِ، أخبرتُهـا بـأن لـيس لـي حبيـب، وأني هنا لأعمل.

رَقـت لحـالي؛ أَمسـكتْ برأسـي وتمتمـتْ بـبعض كلمـات غيـر مفهومات.

قالـت: قـد أحطتـك بهالـة الحـب، تَعويـذتي سـوف تمـلأ حياتـك عِشقاً، وسعادةً، وأَخبرتني عن وجهتي واخْتفت.

أيـامٌ تلـو الأيـام، شـهورٌ وأنـا أعمـل لـم يخبرنـي أحـد بحبـه، وبعـد قعـتُ أنـا فـي الحـبِ. طبيبٌ يعتنـي بالحيوانـات يتعامـل مـع كائنـاتٍ لا نفهمها، وحدهُ يَعرف كيف يتعامل معها، حنان، رِقة، رُقي.

دَخـل عَقلـي فـي معركـةٍ مـع قلبـي، أحـدهما يريـد الإسـتمرار والآخـر يُخبـره بـأن توقـفْ. أَرَدت سَـاعتها رُؤيـة (السَّـيدة السـوداء) لأخْبرهـا بـأي تَعْوِيـذة فَاشـلة لَفْحتنـي. خَرجـتُ فـي ضـجرٍ أسـيرُ وحـدي، فـي الغابـةِ الموحشـة جلسـتُ تحـت شـجرة أفكـر حتـي غلبنـي النـوم. وجـدتها أمـامي تُخبرنـي بمـا شَـغل عَقلـي: قـد أَحطتـك بتعويـذةِ العشـقِ، قلبـكِ أصْـبح دُريٌ، ولـنْ يَنالك إلا من يستحق، فأنتِ جوهرةٌ ثمينةٌ .

ستسـعدين، وتَقـر عَينـك يـا جَميلـة القلـبِ، سـيحبكِ أجملهـم، أنقـاهم، أخلصـهم، وأغنـاهم أيضـاً، قـد خُلـق خِصيصـاً لـكِ أنـتِ وحدكِ دُونَ غَيرك.

قُلتُ: أموجودٌ هو!!!

أَومأتْ، ثُمَ اخْتفتْ.

مسافة أمان

ثمة لحظة إدراك، لن تعود بعدها كما كنت أبداً؛ ستكتشف عندها كم كنت ساذجاً فى إهدار طاقاتك عليهم، قمة بُعد يفتح الأعين على مصراعيها لترتطم بحقيقة إفكهم؛ فتؤلم قلبك، تفتت عقلك، تصدم روحك، فبعض المسافات نجاة، وبعض الوحدة علاج، ومجمل الحل فى السكون، الهدوء، صمت طويل، وابتسامة هادئة تخفى ما نعى.

الأمل

ينبت الله لنا فى أحلك ظروف حياتنا نبتة الأمل، كى نستطيع أن نكمل المسير، بصيص نور يشع من بعيد، ليخبرنا كيف يكون الطريق، شعور صغير قد ينقذنا من الهلاك، وطريق وعر مملوء بالأشواك فى آخرة حدائق غناء، جبال من الجليد فى نهايتها نجاح، وجفاف القلوب بعد العذاب يذيبها لهيب العشق الحلال، فنحن بالأمل نحيا، وعليه نكمل الطريق، ولنا فى قلوبنا نباتات الأمل نرويها من أنهار الحب كى نعدو فى الطريق الصحيح.

ياقلب

يـا قلـب مالـك تتـألم، نصـب عينيـك القـرار؛ الحيـرة طبـع أصـيل فيـك، تحـب تـارة، تـذوب تـارة، تمضـى تـارة، تعـود أخـرى، تتقلـب فيـك المواجـع، تـؤرق نومـك الخيـالات، أوهامـك الكثيـرة انحلـت جسـدك، ذبـت كمـا تـذوب الشـموع، تتلعـثم، تتبعثـر، قـد ضـل منـك الطريـق، و فـر منـك الصـديق، وخانـك الأحبـة، فكيـف يـا قلـب لـك أن تكمـل الطريـق، وفيـك مـن الشـتات مـا يهـدم الجبـال، فإهـدأ، واسـتقر، واسـتعن بـرب السـماوات؛ تطيـر روحك، وتطمئن.

خوتولون

أنـا خوتولـون، نعتنـى جـدي باسـم أشـرس امـرأة فـي التـاريخ القـديم(حفيـدة جنكيـز خـان)، أعجـب جـدي بقوتهـا، وشراسـتها، وضـراوة حروبهـا، أرادنـي مثلهـا، لا يقهرنـي بشـر، ولا يمسـني مكـروه، لـم يعـرف أن روحهـا سـوف تتجسـد فـي، وأن خلـف تلـك القـوة أخـرى لا يعرفهـا؛ امـرأة حـادة الجمـال، رقيقـة المشـاعر، ناعمـة، قلبهـا درى توقـد مـن شـجرة مباركـة فـي السـماء، وبالفعـل تتناسـخ الأرواح، وتتجسـد روحهـا مـرة أخـرى فـي، أصـبحت مصـارعة قويـة، أفـوز بسـهولة فـي كـل المباريـات، هـاب الرجـال الإقتراب.

جمـالى الصـارخ، عنفـوان قـوتى، جديـة طبعـي أبعـدوا أشـباه الرجال؛ فلم أجد بينهم من يحتوى هذا الكيان الأسطورى.

عشـت سـنوات مـن عمـري بـين دراسـتي، وبيتـي، تـدريبات شـاقة، مسـابقات، فـوز تلـو الآخـر، نجاحـات عظيمـات، ثـم سنوات أخرى بين بيتي، وعملي.

رياضتي أخذت كل وقتي، ولم أفكر في الحب، وجدتهم يبتعدون خوفاً، ويهابون روحاً أسطورية، فتركتهم وحال سبيلهم، ومثل خوتولون القديمة بعد سنوات كثيرات؛ دق الحب بابى، سلمت نفسي لمن ملك قلبي دون مقاومة - فيا عجب الأقدار- كيف تعاد قصص التاريخ، وبنفس الأحداث.

سلمت خوتولون نفسها، ومالها الذي جمعته طيلة حياتها لمن ملك قلبها دون منافسة.

كان عادياً جداً، ولكنه أسر قلبي برجولة نادرة، صدق في القول، تفانٍ في العمل، وتصرفات تنم عن تربية الملكات لأبنائهم.

طويل، عصري، وسيم، مهيب، عينان عربيتان واسعتان كالمها، وثغر باسم، ولحية فائقة الجمال.

أدمنت وجوده، وحب رؤيته، لم أبادر، ولم أشعره بما في دواخلي، ولكنه كان محارباً، فارساً خاض غمار المبادرة، وغمد سيفه بقلبي، ليقولها مرة واحدة دون تردد، أو تلعثم (هل تقبلين الزواج؟!) أومأت بنعم، ثم توالت الأحداث.

وبرغم هذا سأظل خوتولون (ضوء القمر) فى كل زمان.

قيثارة

تعارفنا على أنغامها قرب البحيرة الحمراء، وسط الغابة كثيفة الأشجار، عزفت لنا ألحان الحب، والوفاء، أقسمنا على البقاء معاً مع ألحانها الشجية، دام الحب أعوام، وأعوام.

نفترق، نتلاقى، نبتعد، نتدانى، على ألحانها، نشدنا أبدع سيمفونيات العشق، طرنا فرحاً كحمائم بيضاء، تجمعنا كزهور فواحة فى فصل الربيع، وبعد أعوام هبت عواصف الشتاء، أمطار قوية، رياح عاتية، تحطمت القيثارة، لم أعد أراه، هل يا ترى كان طيفاً من خيال؟!، حلماً جميلاً قد استيقظت منه؟!، أم أنه سوف يعود بعد أن أصلح القيثارة؟.!

غدًا

غـدًا نَلْقـى الأحبـةِ، تتحقـقُ الأمـانى ، يَنجلـى الحـزنُ، نعلـو فـوقَ أمـواجِ الفشـلِ، نَطيـرُ إلـى سـحاباتِ الفـرحِ، نلهـو معًـا، نفـرحُ، نمـرحُ، ونحيـا كـأنَّ الحيـاةَ خلقـت لنـا، نـركضُ إلـى غابـاتِ الحـبِّ، ننهـلُ مـن ثمارهـا، تقـوى عظـامُ الأمـلِ فينـا، نغفـو فـى سـعادةٍ، نصـحو علـى صـباحاتِ الجنـانِ الرائعـاتِ، نمسـكُ زمـامَ الأمـرِ ونقـول حينهـا: قـد جبـر الله مـا كُسـر، وأعطـى جـزاءَ الصَّـبرِ أنهارًا، ها قد وصلنا بعدَ طولِ السَّفرِ.

فجراً

عندَ بذوغِ فجرٍ جديد، تبدأُ سلاسلُ أشعةُ الشمسِ في نثرِ خُيوطها على الدنيا، ينجلي اللَّيل بظلامهِ، كآبته، أفكارهِ، ذكرياته، دموعُ الحيارى معلناً بدايةَ يومٍ جديدٍ، إشراقةُ أمل، تتنفسُ الطبيعةُ، وتتغنى العصافيرُ، تتمايلُ الأشجار معلنةً فرحتها باليومِ الجديد.

أنظرُ إلى الدنيا نظرةٌ مختلفةٌ، أزيلُ همَ الليلِ، مع كوبٍ من الشاي بالنعناعِ أبدأُ يومي موقنةً أنهُ سيتغيرُ الكونَ من أجلي، ستفتحُ عناقيدَ الحبُ في قلبي، سوفَ أجدُ من يحاربُ لي، أرتقي بخلقي، أحسنُ ديني، أصنعُ بيدي خبزيَّ المفضل، أعلِنُها اليوم أنها بدايةٌ جديدةٌ مفعمةٌ بالحبِ، والأملِ.

قُصاصات من الحياة

هل هذه هي الحياة التي نريدها، نجري فيها كجري الوحوش في البرية، ولا نلحق من سعادتها مقدار مُضغة، نلهث في سعي دائم، عَدْو وراء الأحداث، إنهيار، إرتفاع، ولا نعلم نهاية المطاف.

ليست حياة، وإنما بعثرة، وتشتيت، وقصاصات ممزقة من مظهر الحياة.

تستيقظ صباحاً، تتأنق، تتهندم، لتبدأ رحلة كئيبة في مسلسل الحياة.

صباح الخير سادتي.. لقد بدأ يوم مع أشباه البشر، ومسخ من الإنسانية المزيفة، نتقاتل بسهام الكلام، يعم الكذب والنزال.

أيام تلو أيام لا راحة، ولا هناء. فكيف لهذا النمط أن يكون حياة!!

إنها قصاصات مملوءة بالخرافات، والبحث العبثي عن الحياة.

تاج المرأة

من أعظم نعم الله على المرأة المسلمة نعمة الحياء، إن تاج المرأة حيائها، وأهم ما يميز المسلمات الحياء، منحة ربانية، وفطرة سليمة، فطر الله الناس عليها.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحياء في معناه أنه انقباض النفس من شيء يجعل صاحبه يتجنب الفعل القبيح، ويتركه مخافة اللوم، والتقصير، وهذا المنع يكون محله القلب.

والحياء نوعان: نفسي، وهو الذي خلقه الله في النفوس كلها، كالحياء من ظهور العورات أمام الناس.

والنوع الثاني: إيماني، وهو أن يمتنع الشخص عن فعل المعاصي خوفاً من الله، وينتج الحياء الإيماني من الخوف من الله، فهو يجعل الشخص يتجه إلى الجنة ويتجنب البذاء المؤدي للنار.

وعلى هذا فإن المرأة التي تتحلى بالحياء، تسمو بنفسها لترقى إلى مراتب الجواهر النادرة، فهو رفعة لذاتها، ومجتمعها؛ فهي ترتدي ملابس ساترة، غير متبجحة في كلاهما؛ صوتها عذب هادئ، ضحكتها ابتسامة، تتنزين بجمال العفة؛ وهي جائزة كل مسلم تقي.

إن الحياء الذي تتوج به النساء لهو خاص خالص لديننا الإسلامي الحنيف، فلا تجد هذه الصفة لدى أتباع أي دين آخر.

فكيف بابنة شعيب وقد سارت على استحياء، حتى كافئها الله بزواجها من نبيه موسى عليه السلام، وكيف لعفة مريم أن جعلها الله أم عيسى عليه السلام.....

والحياء من الشيم التي ندر وجودها الآن، فعلينا أن نعود لما فطر الله الناس عليه، حتى ننعم بالحياة الدنيا، وننال الجنة في الآخرة.

رَائِحَتُهُم مُنْتِنَة

من رحمة الله علينا أنه أنزل على عباده نعمة الستر، فلا يعلم أحد عن غيره شيئاً، ولا يعلم الفرد منا ما يَخْفي في صدر غيره، هذه أكبر النعم حقاً.

لك أن تتخيل أنه إذا كان للكذب، الخداع، الخيانة، الطمع، الحقد، النميمة رائحة؛ فكيف تصبح رائحة العالم، هل كنا نستطيع العيش فيه؟؟!!

ولكن من جميل نعم الله لنا نعمة الستر، فيمسي العبد في معصية، ويصبح قد سترها الله له، فيعيش، ينعم، وينجز.

ورغم ذلك يظل البعض رَائِحَتُهُم مُنْتِنَة، فيرتسم على وجوههم سواد ما يفعلوه خِفْيَةً، تفيض قلوبهم بحقد وغل، ينزل من أفواههم سُم الكلام، تبتعد عنهم لا تستطيع تقبل رائحتهم، ولن يعرف هذا عنهم، إلا ذوي قلوب ناصعة، بربها موصولة، محافظة على ذكرها، ترى بنور البصيرة، تعيش محاطة بلطف الله لها، فإنهم لا يتجاوبون معهم، يعرفونهم، يتقون شرهم بفضل من الله وحده.

ويبقى السؤال هل رائحتهم منتنة لعفن قلوبهم، أم لسوء فعلهم؟.

حوار مع قلبي

أنتَ قلبي الجسور القوي الذى لا يُهزَم.

أنتَ مَن باع، ونثرَ الثرى على ما فيه من حبٍّ .

أنتَ الذي لا يعرف لكَ الحبُّ طريقًا.

مُغامِر، مناضل، قويٌّ، جبّار، متين لا يُكسَر.

بعينين مُغرغَرَتين بالدموع أجاب :

أنا مَن هزمني الحبُّ، قد أذلّني، وأهانني.

أنا القلب الوفي الذى طالما أوجعه غدر الأحبة.

أنا القلب الرهيف المُتعَب

أنا القلب الذى يبكي ليلًا حتى أغرق وسائدهُ.

أنا المُنكَسِر، المُنهَزم، المُتعَب

أنا المُنتَظِر لعودته حتى أشفى من جراح وآلام.

أنا القلب الشجيُّ الخائف الوجِل

أنا، وأنا، وأنا، وأنا، وأنا ، وأنا أحبّكَ؛ فلتبقَ لا ترحل.

إلى الضَّميرِ الإنسانيّ

إلى كلِ قلبٍ حيٍّ نابضٍ بالإنسانيةِ، كيفَ ترى أطفالًا يُسحقون، ونساءًا تُشرد، ورجالًا تَطيرُ في الهواءِ بلا أجنحةٍ من قوةِ القذائفِ، ويتسنى لك السُّكوتُ.

عارٌ على كلِ ضميرٍ إنسانيٍّ أنْ يرى المشهدَ، ثمَ يذهبُ لينامَ دونَ صرخةِ ألمٍ أوتعبيرٍ عن جريمةٍ لا تغتفرُ بحقِ الإنسانيةِ.

كيفَ لأبناءِ الإنسانيةِ الصَّمتُ عن تلكَ المجازرِ، وهذه الإباداتِ.

شعبٌ يُهجرُ من أرضِه، أطفالٌ صارت تَروي الصَّخرَ بدمائِها، نساءٌ تلوك الخوفَ حزنًا.

استيقظْ يا ضميرَ العالمِ، لتُوقفْ هذا العدوانَ.

قد استعرتُ القمرَ

فـي نهايـةِ الأمـرِ تـدركُ أنـكَ وحيـدٌ علـى كثـرتِهم حولـكَ، تجلـسُ وحـدكَ تنـاجي ذكرياتـكَ، تبـوحُ بأسـرارِكَ الخاصـةِ لفضـاءٍ سـحيقٍ، تحتـاجُ إلـى صـديقٍ يـؤنسُ الفـراغَ الرهيـبَ داخـل روحِـكَ فلا تجدُ!

بحثـتُ كثيـرًا؛ فوجـدتُ البحـرَ مملـوء بالأسـرارِ، وجـدتُ السـماءَ تفيضُ بالدعواتِ، والأرضُ غرقى في دمائِها.

فاسـتعرتُ القمـرَ؛ وقـد أوفـى، اسـتمعَ بهـدوءٍ، طمـأنَ بابتسـامةٍ، وواصلَ الدَّعمَ بالدعاءِ.

صـارت جلسـتُنا المفضـلةُ لـيلًا والنـاسُ نيـامٌ؛ أخـرجُ لـه، يهـبطُ لـي؛ نتسـامرُ، نلهـو، نتشـاركُ الـذكرياتُ، وأنِّـي الآن أخبـرهُ بسـرٍ عظيمٍ، فأجابَ سوفَ آتي لك بالخبرِ غدًا في المساءِ.

حبيبان

عاشقانُ قبلَ بدايةِ التَّاريخِ، كُتبت قصتُهما في اللَّوحِ المحفوظِ، كانت نظراتُهما تفضحهما، القاصي والدَّاني يعلمُ العشقَ الذي يتسربُ شذاهُ في الهواءِ.

مرت سنواتُ العشقِ دونَ كلامٍ.

نظراتٌ، همساتٌ قليلاتٌ، عملٌ متواصلٌ ليلَ نهار، ظنَّ أنَّها ملت، هجرت، تكبرت، خابَ أملَه، خَفَّت شُعلةُ الحبِ في قلبهِ، فأدارَ لها ظهرًا.

أيامٌ تلوَ أيامٍ، أعقبتها شهورٌ وأعوامٌ، ظنَّ كلّ منهما أنهما واهمان، ولم يدقْ القلبُ يومًا.

وهنَ قلبُها من شدةِ الألمِ، رقدت، مرضت، لم يجدْ الطَّبيبُ علاجًا.

أتاها فورَ ما علم، تهلل البَّصرُ الزَّائغُ، لمعت العينُ الحزينةُ، بدأ القلبُ ينبضُ بقوةٍ، تحركت الشِّفاةُ المرتعشتان- أحبك- هَمسٌ دونَ صوتٍ، ضمةٌ قويةٌ منهُ أعادتها للحياةِ، همست في أذنِه أكرمني بحسنِ ظنِّكَ فأنا عاشقةٌ حتَّى المماتِ.

نساءُ الشرق

هـنَّ نسـاءٌ مشـرقاتٌ، صـانعات السَّـعادة، مصـابيح الحيـاة، فـى أيـديهن النَّمـاء، والخيـر؛ عقـولهن حـرة، وقلـوبهن قصـور، يستوطن القلـوب، يسلبن العقـول، يُحـيط بهـن الحـب أينمـا حلـوا، نسـاء الشَّـرق قـد خلقـن مـن جـوف المعانـاة، وكابـدن المشـاق؛ ووصـلن إلـى عنـان السَّـماء، حيـاتهن ممتـدة لا تنتهـي فهـنَّ صانعات الأجيال.

عهد الصبا

مرت سنوات العمر سريعاً، ولازلت أذكر أيام الصبا؛ يوم كنا لا نحمل همًّا، ولا ألماً، لم نفارق الأحبة، ولم نخن صديقًا، عهد تمادى بالمرح، وانتشرت فيه السعادة تتقاذفها القلوب، نسير لا نحمل للدنيا خوف، ندخل غمار معاركها ونحن في أوج الحماسة، والثقة بالنجاح، كانت قصة الحب لدينا هي الأولى، والأخيرة، ولابد أن تنتهي بالزواج، الحب بداية لا نهاية، ولا غاية، ولا سلم للأسِرَة الخادعات، عهد الصبا مازال فينا، رغم شحوب اللون، وثنايا الوجه، وانحناء الظهر، عهد شكل عقولنا، وقلوبنا فلا ننتمي إلى زمان كهذا، نحن العقول المخترعة، والقلوب الحانية، والدفء الذي حطمته التكنولوجيا الحديثة.

أعراض انسحابية

أدمنت هواك، أتنفس عشقك، كنت لى الماء، والزاد، ينتابني شعور مميت بالألم منذ هجرتني، تنسحب مني أعراض الشوق، الحنين، الاطمئنان كمن تخرج روحه عن جسده كل ليلة، تعود الذكرى على وسائدي، أقاوم، أعاند، أبكي، أصرخ، أتقيأ هواك، يخرج من قلبي مظاهر الحب على هيئة أنات عميقات مميتات، كذبح الطير يرقص رقصة الموت الأخيرة، أنام طويلاً، كي ينتهي الألم، أستفيق على ألم أكبر، ينتهي اليوم، بأعراض الانسحاب ليبدأ يوم آخر بأعراض انسحابية أخرى، وهكذا تتوالى الأيام.

فى الحى القديم

نظر إلى بذات العينان العميقتان، الحالكتان، والشارع مملوء بالناس، والزحام غطى الأرض؛ ثم تنهد وقال : أسبوعان لم تأتى هنا هل زهدت الخبز ؟!؛ فقد كان يمتلك مخبزا كبيراً يبيع الخبز والحلوى الشرقية والغربية ورثه عن والده وطور فيه كثيراً، وكنت أقطن ذات الحى، سافرت بعيداً لسنوات وعدت بخيبات لا حصر لها، فقدت الحب والأمل ، تلحفتنى خيانة الحبيب حتى آذت روحى، ونهشت كل جسدى فنحل ونحل ولم يعد لى سوى الحزن صار صديقا وفياً لا يتركنى ، عدت لأجد كامل الحى تغير، ما عاد الأهل أهل، ولا الجيران هم، ولا الأصدقاء أوفياء.

رددت عليه بلعثمة عشرينية : لا، بل أحب خبزكم كثيراً ولكنى لا أحب النزول كثيراً.

لثمنى بعينيه الجريئتين وقال : ظننت أنك غضبت منى المرة الماضية حينما تكلمت عن حياتك وأخبارك.

قالت : لا !! لم اغضب، أنت تتذكر الكثير عنى.

قال : نعم، أخبرك سراً، واقترب منى جداً حتى كاد أن يلامسنى وهمس بصوت أجش ناعم، حنون : أحب تعابير وجهك اذا اعجبك ما لدينا، وعبوس وجهك إذا غلا سعراً، وأحب خوفك إذا اقتربت منك، وأضحك كثيراً إذا تلعثمت وأنت تتعاملين معى، لم أتمالك نفسي وأنا أراه باسم الثغر تظهر نواجذه، وجمال لحيته يفوق الوصف، فتلعثمت أكثر وأنا ابتعد قليلاً وأقول له متجاهلة ما قاله : ما سعر هذه الحلوى ؟! أريدها مع باقى طلباتى ، فوجدته يضحك بصوت عال من تلعثمى ، وقال : هى هدية الوجنتين الحمراوتين من الخجل ، والعينين الكحيلتين من الحزن ، واللجلجة الأخاذة من ثغر مبتسم.

نظرية الموت

الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة في هذه الحياة، يتخيله البعض بأنه كائن خرافي كالعنقاء، يركض وراء الكائنات كلها، يريد الفوز بهم ينالهم، يلتهم أكبادهم، يكسر عظامهم، يرتشف دمائهم بكل سكرة ومزاج، هو وحش كاسر يهرب الناس منه، يخافونه، يصارعون المرض نجاةً منه، ويحاربون اليأس بعدًا عنه، ولا يدرون أنه خلف الباب، معك في كل مكان، ظلك الذي لا تراه، هواء تتنفسه كلما مرت بك السنوات، سفر الحياة ذاهب إليه لا محالة، بيت من قماش، وسرير من تراب، تدفع الأسباب كلها حتى لا تراه، تخشى على الأحبة منه، المرضى في الأسرة يهابون حضرته، المسافرون يتعوذون من وعثاء السفر خشية منه، المصابون، النائمون، الذاهبون، العائدون، يخشون حضوره على غرة؛ وعلى الرغم من ذلك إلا أنه إذا آن الأوان ولج، وإن حل الوقت سقط الفرد أسيرًا له،

كيف السبيل للهرب من خزعبلات العقل، ومتاهات الخيال، كلها تدفع الباب نحو هدم الجسد، يحاول الفرد غلق الباب، وهدم الجسر الواصل بهم ولا سبيل لديه.

قد نُفِّذَ الأمر وانتهى الوقت، ذلك الوحش يقترب، ونحن في قمة الاستسلام له.

لماذا نخشى رفيق الدرب، ومنتهى القدر؟!

تعامل معه بكل ود ولطف، قدم له جميل العمل، وعظيم الأثر، صادقه، ارتبط به.

فإن أتى فمرحبًا به، وإن تأخر فقد طال العمر وحسن العمل.

تناسي

قد يسقط منا أحياناً بعض الأحداث، بعض الأمور ننساها رغماً عنا، ولكن نضطر في بعض الأحيان إلى تناسي بعض الأشخاص رغماً عن قلوبنا؛ فيقع من الفكر الواعى إلى هوة النسيان السحيق، يظل قابعاً فيها كلما حاول الخروج نكتمه داخلها، نسلسله، نحكم قيده، على ألا يخرج من غياهب جُب النسيان؛ فقد آذى قلوبنا، وأرق نومنا، وحارب عقولنا، و حرمنا سعادتنا فلم نجد بد من قذفه فى ذلك الجب، وحرمانه من العودة مرة أخرى إلى ظاهر العقل السليم، أنت يا من قسوت وظلمت قد تلقيت حكماً نهائياً واجب التنفيذ؛ فلتقبع باقى حياتك فى هوة النسيان السحيق.

خواطر إمرأة

لا أدرى من أين تكون البداية، كيف أقص الرواية، ولا أعلم كيف أسير فى الطريق القويم، كل حكاياتى صارت ضرب من الهذيان، كل الخواطر باتت كلمات مبعثرة لا تُفهم، كل النبضات صارت خافتة، وأطفأت كل الأنوار، خمسون طريق ومائة فكرة وآلاف الهوايات، بعثرة تامة، شتات عقل، خفقان روح، وخزعبلات قلم، أمل بعيد بعيد كلما لاح في الأفق طار كالسراب، كيف أبوح بما في داخلى وأنا فقدت السرد والحكايات؟، أريد البوح ولكن قد عجز اللسان، أى طريق أسلك، أين الهدى ؟ وكيف الخلاص؟.

أنا أنثى عربية

قد ولدت فى بلادى العربية، بلا أدنى حق حقيقى، كلها حقوق شكلية، لى الحق فى التعليم والتأثير و إبداء الرأي، لى الحق في ملبس ومسكن ومأكل، لى الحق فى العمل و تقلد أعلى المناصب، ولكننى فى الحقيقة، أسيرة أفكار واهية، أين حقى فى الحمى؟! وحقى فى الحب، وحقى فى الإتكاء، وحقى فى التنعم، والرفاهية، وحقى فى الإهتمام، وحقى فى الخلود إلى النوم على صدر موطنى، وحقى فى حديث ودود لطيف مع بعض كلمات الثناء، أين وأين وأين، و أين ذهبت رجولتنا العربية.

شرود

فـي قطـار السادسـة صـباحاً مـن كـل يـوم تـذهب (نـور) إلـى عملها الذي يبعد كثيراً عن منزلها بالقرية.

تعمـل موظفـة بأحـد البنـوك فـي مدينـة المنيـا، تقطـن فـي إحـدي القرى في بيت ريفي جميل، هادئ، هي ووالدتها فقط.

ليست كفتيات القرى؛ هندامها، شكلها، طريقة عيشها.

شـرود واضـح علـى تفاصـيل وجههـا طـوال طريقهـا ذهابـاً، وإيابـاً؛ تتمتـع بـالنظر خارجـاً، لا تسـمع نـداءات الباعـة الجـائلين الذين اعتادت أصواتهم شيئاً.

لا تتعـرف علـى وجـوه العـابرين، شـاردة، نـاظرة إلـى شـرفة القطـار فـي ذات المقعـد الـذي تختـاره كـل يـوم، وتنظـر مـن ذات الشـرفة، لتـرى نفـس المنـاظر التـي تراهـا كـل يـوم، ليسـت معنـا، وإنما في عالم آخر لا نعلم عنه شيئاً.

وبصفتي صحفي يجذبني أصحاب القصص الشائكة، وأشم رائحة الإثارة من بعيد، كنا نحضر لمؤتمر سيقام بعد شهر في مدينة المنيا مما أتاح لي أن أراها كل يوم، وأحاول نبش ما تدفنه داخلها، ولكنها أصرت على عدم الحوار، أصرت على الشرود، والسكون.

عقدت العزم على معرفة الأمر بطريقتي الصحفية.

تابعتها حتى عرفت منزلها، وعملها، وبدأت جمع خيوط قصتها، وألملم بعثرة أخبارها؛ لأعرف ما هال عقلي: كفيلم سينمائي حزين.

كانت فتاة جميلة مرحة تحب الحياة، تعيش في إحدى شوارع القاهرة القديمة، أحبت زميلاً لها بالعمل؛ كان يبدو عليه العز والوجاهه، أحبت كامل تفاصيله، سارا معاً في درب الزواج.

أعدا عدتهما لينعما في إطار شرعي؛ عامان من الحب، وآخران من الخطبة، وثالثاً بعد كتب الكتاب.

جهزا عشهما كما ترائى لهما.

كان دوماً يطلب منها أن تسلمه نفسها ـ فهم حقاً أزواج ـ دام رفضها حتى ليلة الزفاف ـ خشية أن يتركها إذا سلمت له نفسها قبل الأوان ـ

فوجئت به في منزل الزوجية كانت ذاهبة لوضع بعض اللمسات الأخيرة؛ حاول معها مجدداً أبت بشدة، هربت منه بعد مقاومة كبيرة.

في الصباح التالي هاتفه لتخبره بموعد خروجها من دار التجميل (البيوتي سنتر) ولكن هاتفه مغلق. ساعات تهاتفه ولا يرد، دب القلق في أوصالها، روت على أمها ما كان ـ طمأنتها ـ وذهبت معها إلى (البيوتي سنتر).

أخبرت خالتها لتذهب إليه في منزله وتطمئنهم.

وجدته نائماً ووالدته تبكي، تخبرها بأنه لا يريد الزواج، حاول الجميع إقناعه والوقت يجري دون أدنى أمل....

تركها يوم عرسها تواجه العالم وحدها، لم يستطع أحد إخبارها.

تزينت الفتاة كأجمل ما يكون، ارتدت فستانها، وهي لا تعرف الحرب المنتظرة خارجاً.

أطلت عليهم؛ وجوه الحاضرين كأنما غطتها أجنحة الظلام مكفهرة.

تسأل: ماذا جرى!!! وما من مجيب.

هرعت إليه دون تفكير، ظناً منها أنه أصيب بمكروه.

وجدته هادئاً، بارداً، والدته تبكي ...

أخبرها أنه ما عاد له بها حاجة، لا يريدها.

ارتمت تقبل قدميه، عرضت عليه نفسها، وافقت على ما كان يريده بالأمس منها؛ أمام أهلها وأهله على ألا يتركها، أخبرها: أنه لا يريدها، وقد زهد الزواج منها، وفقد رغبته بها.

أخذها أهلها عنوة من منزله وهي تصرخ لا تتركني.....

عامان في المشفي غير قادرة على النطق، فقدت الكلام في صدمتها، حاول الأطباء، والأهل مساعدتها؛ فشل الجميع.

أخذتها والدتها بعيداً ـ كما أوصى الأطباء ـ إلى بيت أبيها في المنيا، قدمت والدتها طلب نقل من الفرع الذي كانت تعمل به إلي فرع قريب من إقامتها الجديدة.

تحولت إلى عمل إداري لا يحتاج إلى الحديث الكثير.

ذهاب، وإياب دون أدنى تقدم أو إنجاز، رفض للحياة، عيش على أطلال الصدمات، تمثل أنها حية، وهي ضمن الوفيات.

تستيقظ كل يوم باكراً لتذهب إلى حديقة المنزل الواسعة؛ تصلي في الهواء الطلق، تطعم دجاجاتها، تذهب لعملها شاردة، تجلس في مكانها شاردة، صافنة، تمضي على بعض الوريقات، تعود لمنزلها تأكل ما أعدت والدتها، لتجلس باقي يومها بالحديقة مع الدجاجات.

فقدت الكلام، والإحساس، شقتها بالقاهرة كما هي لم يدخلها بشر منذ ذلك اليوم، بيت أبيها موصد منذ أعوام.

تبدلت الحياة، ما عادت بها حياة.

عقاب

كنت زوجها لعشرة أعوام كانت بالنسبة لي كل الحياة، والحب والدفء، والحنان وكنت لها مختصر الحياة، وكل الرجال، كانت تعشقني حد السماء، أنا بالنسبة لها الأب، الأخ، الصديق، وككل بيوت الدنيا حدث ما لم يكن فى الحسبان، انفصلنا، ولكن دام الحب، لم تتخل يوماً عن حبي، وكنت أكن لها كل الاحترام فقد كنت المخطئ دوماً، هى تسامح، تتغاضى، حتى تستقيم الحياة، لكن فاض بها وطلبت الطلاق، وافقت على الفور حتى أربيها، وأعلمها أن مثلي لا يُترك، وأن كرامتي فوق حبي، تركتها مع ثلاثة أطفال تجابه كل ما فى الحياة من صعاب؛ أنفق عليهم على مضض، لا أهتم بهم جميعاً فقد طلقت أطفالي معها، كانت تعمل، تربي، تعلم، تدرب، تحفظ، تهنهن، تدلل، تقضى حاجاتهم، تسافر معهم، هى تفعل كل ما كنت أفعله وما كانت تفعله، صارت الأب، و الأم معاً؛ أخذت الدورين بكل كفاءة، وكل فترة أتأكد من أنها مازالت لي، أحادثها أحاديث العاشقين، وأقول لها أنى أعددت

عـدتي للعـودة لهـم، وأنـي قـد عرفـت خطـأي وأنـي قـد تغيـرت، وتبت وأني أتمناها كما تتمناني.

هـى؛ تطيـر فرحـاً، تـرقص نغمـاً، تعـانق السـماء؛ فأتركهـا أشـهراً و أشـهراً، حتـى يـنهش القلـق قلبهـا، وتأكلهـا التسـاؤلات، ويفطـر قلبهـا الحـزن، تحتـرق روحهـا، وأعـود فـأكرر الكَـرة مـرة أخـرى، وينتابهـا نفـس الشـعور، وأكـرر العقـاب مـرات ومـرات سـنوات كثيـرات، تقـدمت بالسـن جـداً وأنـا مسـتمر فـى العقـاب؛ تحاملـت علـى نفسـها كثيـراً حتـى كبـر الأطفـال وصـاروا بالجامعـات، وذات يـوم قلـت أكـرر اللعبـة أهاتفهـا فـلا تجيـب مـرات ومـرات، بـلا إجابـة حتـى وصـل الأمـر لعـام مـن المهاتفـة ولا تجيـب؛ بـدأ القلـق يسـرى فـى عروقـي، هاتفـت المنـزل رد علـىَ صـوت رجـل خشـن، قلـت: مـن ؟!!! رد علـىَ فـى ثبـات وغضب: أنت المتصل! من أنت ؟؟!!

قلـت: أنـا المهنـدس أحمـد عـز الـدين ؛ أريـد مهاتفـة السـيدة(لـين) !!!

قـال ببـرود وذهـول: اااااه أبـى!!! أنـت أبـى أنـا (علـى) عـام مـر يا أبى دون محادثة أحد منا .

أنـا وأخـوتىَ الاثنتـان نسـأل عنـك. كانـت أمنـا دومـاً تحادثنـا وتطمئننا عليك ومنذ عام لا نعرف لك سبيل .

قلـت بحـدة وعصـبية: أتصـل دومـاً علـى هـاتف (لـين) ودائمـاً الهاتف ١مغلق، ثم بكل غرور قُلت: ماذا حدث ؟؟ !!

رد بحـزن: والـدتي متعبـة فـى المستشـفى، تركـت الهـاتف، وركضـت مسـرعاً لبيتهـا وجـدت أطفـالى وقـد صـاروا شـباب أولهـم: (لـين) اسـميتها علـى اسـمها وقـد صـارت بالجامعـة، وثـانيهم: (علـى) وقـد دخـل الجامعـة هـذا العـام، وثـالثهم: (منـى) التـي اسـميتها علـى اسـم أمـي وصـارت فـى المرحلـة الثانويـة. كيـف كبـر أولادى إلـى هـذا الحـد ؟!!!!! كيـف تفلـت العمـر مـن يداي فى عقابها !!!!!!

اسـتبقت الكـلام لـين (الابنـة)، وقالـت: يـاااااااااه أبـى لقـد نسـيت ملامحـك !!! ـ قـد وخـزت قلبـى بسـكين- رددت: أريـد أن أرى أمكم.

رد (عَلَى): وهل ستتحمل مشاهدتها وهى على تلك الحالة؟!

تمالكـت أعصـابى وقُلـت: سـأحاول، أتوسـل إلـيكم خـذونى إليهـا ، أخـذني عَلـي لهـا وطـوال الطريـق وأنـا مـوقن تمـام اليقـين أن معـي دواؤها وأنها بمجرد أن تراني ستشفى.

وجدت نفسي أمام مستشفى للأمراض النفسية، دخلت غياهب الطرقات، من باب إلى باب وصلت لغرفتها فتحتها بشدة، فإذا بي أرى جثةً حية. من هذه؟! ما هذا النحول ؟! كيف للوجه الجميل أن يذبل ؟! كيف للجسد الملفوف أن يبلى ؟!. اقتربت منها وهى جالسة واضعة رأسها بين ركبتيها وما أن رأتني حتى انتابتها حالة من الفزع والتشنج الشديد، هرع إليها الأطباء يحاولون إيقاف الصرع فقد احتاجت جلسة أخرى من العلاج بالكهرباء، ظل الأطباء يصعقونها؛ وهى ترفض الهدوء وأنا أصرخ بكامل قوتي: لا لا لا كفى كفى كفى لا تحتاج هذا، ضمة منى كفيلة بإيقاظها مرة أخرى، أرجوكم إبتعدوا. أمسك بي ولدي عَلي وأخرجني بقوة من الغرفة، وقال: لن تهدأ إلا بعد جلسة الكهرباء، كيف كنت قاسياً حتى استسلمت للعذاب بكل راحة؟!

عانت وبكت حتى أتمت مهمتها واستسلمت للمرض، هى لا تريد الحياة، ترفض الموت خوفاً علينا، فإذا بها بهذه الحالة، كانت الكهرباء أحن عليها منك يا أبي، قد ضمنت حبها، وإخلاصها فعذبتها بالبعاد، حولت حياتها لكتلة من الانتظار المميت، كانت فى أواخر صحتها تخطئ فى اسمي تناديني باسمك عليَ، سلبت قلبها وعقلها، وأذيتها كثيراً يا أبي حتى

فقدت حواسها وتحولت لجثة ما بين الحياة والموت، انهرت بالبكاء ظللت أصرخ أعيدوها لي، أريدها، أحبها، سوف أعوضها، عاقبتها يا أبي على ذنب لم تقترف منه شيئاً، والآن هى بين يدي الرحمن لا تريدك ولا تريد الحياة، تركني أجثو على ركبتيَ وأبكي بكاء الأطفال وسار فى طريقه، و تركني أتمزق.

الآن فهل من حل لهذه المسكينة أو علاج ؟؟ !!!

عاقبوني ولا تتركوني هكذا، فإنى أستحق العقاب.

أمى

رائحتك عبأت أركان دارنا القديم، هرولت أقبل يداك كعادتى، أنهل من دفء صدرك، أحادثك كعادتى، أشكو إليك أيامى فتطمأنين، فوجئت أن البيت خالٍ هادئ كنفسك الآمنة، نظرت حولى تذكرت إنك غادرتنا وتركت لى قلب منهك بالألم، شعرت بضمة يداك الأخيرة ليدى، لم تكن يدك ؛ كانت رجفة يدى المتألمة التى لم تجد بعدك حنان، أمى أود اخبارك بأمر قد حدث معى اليوم ؛ فلم أجدك هناك، أمى هل تأتين يوماً ؟؟؟؟؟ !!!!!!

فأنا متعبة وأود الكلام.

أميرة الجبال

أسطورة قديمة؛ تحكي أنَّ الأميرة "مونتانا" عاشت في رغد عظيم، كان أبوها أمير المملكة الشَّرقية للأرض المليئة بكنوز وزرع؛ حياة مترفة عاشت بها وتطبَّعت بصفاتها.

أغار عليهم أمير البحار، أسر أباها، نصَّب نفسه حاكمًا على البحار والأرض الشَّرقية معًا، فرَّت منه مونتانا هاربة إلى شعاب الجبال؛ قد نجت من الرِّق والذُّل.

بقدرات فائقة حباها الله بها في فنِّ التَّواصل مع الحيوانات الضَّارية استطاعت أن تُطوّعَ ذئاب الجبال فتُطيعُها ؛ عاشت معهم وتحوَّلت إلى ذئبة "سرحانة " بصورة بشريّة جمعت مَن فرُّوا معها، طافت بهم الجبال إلتفَّ النَّاس المتفرّقون حولها لسحر جمالها وقوّة تأثيرها.

بنعومة حديثها وعلمها الواسع، بدأت تعمِّر الجبال، تزرع السُّفوح، وتزوّج الرِّجال؛ أنشأت جيلًا ينتمي لها ويؤمن بها؛

جعلت من الأحجار منازلًا، من الضَّواري جيشًا، ومن فتات الرِّمال أسلحة.

عادت بجيش قويٍّ إلى مملكتها اجتاحت المملكة، وهزمت الملك بكلّ سهولة؛ انتشرت الذِّئاب في كلِّ بقعة من الأرض؛ لتضمن الولاء لها. رجالها المخلصون سيطروا على مفاصل الممالك فأصبحت أميرة الجبال والبحار والأرض الشَّرقية؛ رفعت رأس أبيها، خلَّدت ذكره، كتبت بحروف من نور اسمها، أسطورة عاشت على مرّ العصور.

أميرة الجبال " مونتانا " تُحدِّث الذِّئاب، تسحر البشر، يؤمن بها كلّ من يعرفها، فيقسم على الولاء والطَّاعة .

تمتلك قوّةً ناعمة، وسحرًا تامّا، يجذب البشر، الحجر، والضّواري.

ناعمة كحدِّ السَّيف، قويّة كغمده، بتّارة كنصله، ملكت، حكمت، عدلت؛ فدام الملك لها..

سطّره التَّاريخ على صخورِ الجبال.

المرأة القوية في الإسلام

الإسلام دين الرحمة والمغفرة ، أتى بخير الدنيا والآخرة للمرأة فقد حررها من العبودية والذل ، من الوأد والخزي ، جعل لها ذمة مالية مستقلة عن الرجل ، صارت المرأة المسلمة ذات قرار ورؤية وحكمة وتجارة ، صارت حاكمة عادلة ، وقد أقر لها الإسلام كافة الحقوق مثلها مثل الرجل وعليها واجبات يجب أداؤها.

و الإسلام لا يمكن أن يرفض أن تكون المرأة قوية، لكن القوة بمعناها الحقيقي، (القوية وليست المتسلطة .. القوية وليست الظالمة .. القوية وليست القاسية .. القوية وليست المسيطرة .. القوية وليست الصعبة .. القوية وليست المؤذية .. القوية وليست العنيدة)..

امرأة قوية .. أي ليست تلك الشديدة التي يكون وجودها لعنة .. ولا هي الضعيفة المنكسرة التي يكون وجودها عبئًا.. لها تركيبتها الخاصة.. كأنها تتوجع وجع امرأة في منتهى الضعف وتتماسك بقوة جيش من الرجال !.. تعتقد فيها

التحـدي فتسـتفزك للانتصـار عليهـا .. وتتفاجـأ بأنـك فـي حـرب معها بدون أسباب!

صفات المرأة القوية

المـرأة القويـة.. تلـك التـي توجـد مـن معاناتهـا سُـبل السـلام !.. هـذه المـرأة مـاذا تنتظـر منهـا سـوى أنهـا قـوة تختبـئ فيهـا امـرأة !.. لكـن .. إذا كنـت مـن أهـل البصـيرة ستكتشـف أن كـل معـاني القـوة المـذكورة وكـل الأسـرار والخبايـا أصـلها ومنبعهـا الوحيـد بـداخلها .. شـعور واحـد خفـي هـو محـرك لكـل طاقاتهـا .. ومصدر كل قوى .. هو قوة الحب!

قـوة تجعـل منهـا امـرأة حديديـة ! لكـن بطـابع خـاص .. لهـا حسـابات وقـوانين مختلفـة.. وكلمـا اقتربـت مـن شـيء بـداخلها تُدركه .. فالحقيقة أنك لم تدرك منها إلا مجرد قشور!

لأن الحـب فـي كينونتـه .. عمـق وغمـوض .. وقوانينـه غيـر القوانين .. ولغته غير كل اللغات .. وله شفراته الخاصة!

شـفرة السـهل الممتنـع .. المنـع والعطـاء .. المجازفـة والتـروي .. الخضـوع والحسـم .. التمسُـك والاسـتغناء .. الجديـة والمـرح .. العُزلـة والانـدماج .. الهـدوء والانطـلاق .. السـيطرة والاستسـلام .. الإقدام والانسحاب ..القرب والبعد .. الحزن والفرح..

كـل شـيء وعكسـه جـدًا.. موجـودين بـنفس السـلام والطمأنينـة بداخلها !.. ولكن هي طمأنينة الحب..

فتلك المرأة هـي التـي تحـارب لتحصـل علـى عمـل وتتفـوق فيـه ، وهـي التـي تربـي أبناءهـا علـى طاعـة الله وخشـيته ، هـى التـي إذا أحبـت رجـلا صـارت لـه كـل أهلـه ووطنـه وعشـيرته ، هـى التـى تُقـام علـى أكتافهـا أمـم وشـعوب وعـوالم مختلفـة ، امـرأة بـألف ، تطيـع ربهـا ، ترعـى أهلهـا مكبلـة بأعبـاء الـدنيا ولا تقصـر فيهـا ، جبـلٌ صـامدٌ، بداخلـه قمـة مـن اللـين واللطـف والحيـاء والعطـف والحنـان ، هـي امـرأة تجمعـت فيهـا كـل الخيـرات ، فعلـى أمهـات المسـلمات أن تربـي بناتهـا لتصـبح بتلـك الصـفات ، وعلـى كافـة نسـاء المسـلمين أن يتحلـين بهـذه الصـفات حتـى ننشـىء جـيلاً مـن العظماء.

القوامة

القوامة في اللغة: من قام على الشيء، أي حافظ عليه وراعى مصالحه ، والقوامة الزوجية: هي ولاية يفوَّض بها الزوج، للقيام على مصالح زوجته بالتدبير والصيانة والإنفاق، وغير ذلك، وفيها تكليف للزوج يحاسب عليه أمام الله لو فرَّط فيها، كما أنّها تشريفٌ للمرأة، فقد أوجب الله على الزوج بمقتضى القِوامة، رعاية زوجته التي ارتبط بها بعقد زواج شرعي، واستحل الزوج الاستمتاع بزوجته بذلك الميثاق الغليظ، كما وصفه الله في القرآن

فهي بذلك تكليف لا تشريف، وضابطها التعامل في نطاق الأسرة، بما يحقق السعادة لها في حدود شرع الله،

والرجل القوّام على أهل بيته هو ذلك الرجل الذى يتمسك بدينه ولا يفرط فيه فيقوم على أهله بدافع الود والرعاية والاهتمام فليست القوامة كما نراها الآن فى أبشع صورها فى الأمر بغلظة ، والتعنيف بشدة ، والإهانة باللسان واليد ، وليست القوامة أن يفعل الرجل ما يريد ، ويحرّم على أهل

بيتـه الرفاهيـات كافـة ، فالقوامـة لـين لا شـدة ، توجيـه بحـب لا إهانة ، رعاية واهتمام لا تحكم وتملك.

و يتسـاوى كـلّ مـن الرجـل والمـرأة فـي الحقـوق والواجبـات، قـال الله تعـالى موضـحاً ذلـك: ﴿وَلَهُـنَّ مِثْـلُ الَّـذِي عَلَـيْهِنَّ بِـالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَـالِ عَلَـيْهِنَّ دَرَجَـةٌ﴾ [البقـرة:228]، إلّا أنّ السـبب فـي جعـل القِوامـة للرجـل علـى زوجتـه، لا للمـرأة علـى زوجهـا، اختلافهمـا فـي امـتلاك الرجـل لمقومـات جسـدية خَلقيـة، فالرجـل كامـل الخِلقـة، معتـدل العاطفـة، سـليم البنيـة، ولـذلك هـو مفضـلٌ علـى المـرأة فـي القـوة والعـزم ، ولـذلك كانـت النبـوّة، والرسـالة، والإمامـة الكبـرى، والقضـاء، كلّهـا خاصـةٌ فـي الرجـال دون النسـاء، وكـذلك إقامـة الشـعائر؛ مـن أذان، وإقامـة، وجهـادٍ، وجُمعـة، ونحـو ذلـك، كمـا جُعـل الطـلاق فـي أيـدي الرجـال، وخُصّوا بالشهادة في الجنايات والحدود.

كـذلك وجـوب إنفـاق الرجـل علـى الزوجـة، والقريبـة، وكـذلك إلزام الرجل بالمهر للزواج من المرأة، كرمز لتكريمها.

فـالمرأة فـى الإسـلام ملكـة متوجـة مصـانة، كـدرة علـى الرجـل أن يقـوم عليهـا برعايتهـا وحبهـا وتـذليل صـعاب الحيـاة أمامهـا، ومسـاعدتها قـدر الإمكـان فيكـون قوامـاً إذا كـان بالفعـل أبـا لهـا

يحنـو عليهـا ويقيهـا ويعفـو عنهـا فتلـك هـى القوامـة الحقـة التـى تبنى عليها الأمم وتعيش بها الأسر فى سلام.

المدينة الباسمة

في إحدى الممالك الأسطوريّة القديمة؛ العرف كان عدم سجن النِّساء المخترقات للقانون، بل نفيهنّ إلى إحدى القرى النَّائية للعمل، وتعلُّم الالتزام.

صارت القرية النَّائية بعد قرون عديدة مدينة ينعم أهلها بالسِّلم والهناء، صحيح أنهن يمضين وقت عقوبة، ولكن تعلّمهنّ الأمُّ العظمى الالتزام بالعمل، والتَّعاليم الدِّينية؛ يخرجن بعدها صالحات.

ليس في المدينة رجال ،إنما نساء منتظرات.

تحوَّلت القرية المهجورة إلى مروج خضراء؛ يرعى فيها أفضل أنواع الأبقار والأغنام، زهور وريحان متنوّعة، نسيم عليل؛ هناء وسعادة

كلّ صباح ،الألبان الطّازجة ومشتقاتها تُورَّد للمملكة.

مصانع منزلية للحبوب والغلال، أنواع العصائر الطَّبيعية ومشتقاتها تُصنَّع يدويًّا؛ لينعم أهل المملكة بأفضل أنواع الطَّعام.

يحرس المدينة جيش كبير من المملكة حتَّى لا يدخلها غريب.

في غفلة منهم تسلَّل أحد الكائنات إلى داخل المدينة الباسمة شكله يُوحي أنَّه ذكر؛ فوجئن به في أحد الصَّباحات؛ اختبأ منهن بعد عدة ملاحقات للقبض عليه وطرده؛ نظَّم خطته حتَّى يمتلك ويسيطر.

بفنِّ الحيلة والتَّلوّن وسرعة التَّشكل الّذي يتقنه استطاع العيش بينهن دون علم الأمّ العظمى؛ يقنع هذه بالحبِّ، والأخرى بالمساعدة في حمل الأثقال، يدخل للثَّالثة من الشُّعور بالظِّلم، الرَّابعة ..... العاشرة ..... ، وهكذا صارت النِّساء جميعهنَّ خادمات له يُخبئنه، يُطعمنه، ويسعدنه.

كلُّ واحدة تُجاهدُ لتفوز بقلبه، فيتنافسن لنيلِ حظوة منه

غدت كلٌّ منهنَّ تَكيد للأخرى، تُؤذي صاحبتها.

تغيّرتِ المدينة، وما عاد للابتسام موضع فيها؛ تحوَّلت إلى حلبة صراع، الكلُّ خائن، الكلُّ مخادع، الكلُّ منافق، الكلُّ كاذب

هواء المدينة صار مشحونًا بدخان المؤامرات والكره، جلسات السَّمر اللَّيلية والحكايات المسلية مع أشهى أنواع الحلوى

اختفت؛ تنصَّلت منها الواحدة تلو الأخرى، لوَّث الصِّراع المدينة الباسمة لالطُّهر والنَّقاء.

فطِنت الأمُّ العظمى للأمر؛ علمت أنَّ هناك دخيل بينهن، شيطان لبس زيَّ الرِّجال.

جمعت كلَّ من كان بالمدينة في حفل أسطوريّ؛ اعلنت عن مفاجأة كبرى؛ أوّل زيجة في المدينة الباسمة.

أخرجت الدَّخيل وقالت بحيلة ومكر: اختر!!!!

كانت كلٌّ منهن تظنُّ أنّها المختارة، ولكن في لحظة خُبث منه اختار الأمَّ العظمى.

ضحكت عليه؛ كشفت أمره بينهن هو لا يحبُّ أيًّا منهن، يلعب بهن؛ لينعم برغد العيش والهناء.

قالت له: الأمّ العظمى لا تتزوَّج.

فلتتقدَّم أحدكن للزَّواج منه؛ فلم تتقدم أيّ منهن فقد انكشف أمره، علمن بمكائده، فسقط من أعينهن.

قالت الأمُّ العظمى: الحلُّ الأخير في أيديكن؛ أمّا الزَّواج، أو الحكم عليه؛ دون أدنى تفكير بدأوا؛ برجمه بحجاره المدينة حتَّى الممات.

عادت إليهنّ البسمة، فهدوء العيش والهناء، غرَّدت العصافير، تفتَّحت الزُّهور، سال العسل على الأغصان، هفّ عليهنّ النَّسيم العليل الخالي من الصِّراعات.

مجلة
الأدب
العربي
المغربية الإلكترونية

دعاء محمود

لماذا دوماً شـــاردة؟ يحيط بحياتها هالة من الغموض التى تثير فضـــولى، تعابير وجهها ثابتة مع جميع الناس؛ فهى ترسم ابتسامة هادئة مع لمحة الحزن فى عينيها: إجابات مختصـــرة، وصـــوت لا ينبئ عن مشـــاعر؛ فأنت محال أن تعرف هل حزينة ؟ أم تهذى؟ تتحدث بصدق؟ أم كاذبة؟ ما مدى عمق معلوماتها؟

أحياناً أراها فى غاية الذكاء وتارة أخرى أراها غبية، تارة أحب حديثها ومرة أخرى أنفر منها، منذ أيام قد رأيتها تعمل بجد وما أن حدثتها حتى أعطتني نفس الوجه الذى لا أفهمه.....

adabarabi94@gmail.com
+212 688479804